هوايتي القتل

كيف يفكر القتلة المتسلسلون؟

محمد أمير



دار اكتب للنشر والتوزيع



هوايتي القتل

هوايتي القتل

كيف يفكر القتلة المتسلسلون؟

الكاتب

الطبعة الأولى، القاهرة 2019 م

غلاف: أحمد فرج

تدقيق لغوي: خالد رجب عواد

رقم الإيداع: 22405 /2018

I.S.B.N: 978-977-488-598-5



دار اكتب للنشر والتوزيع

العنوان: 12 ش عبد الهادي الطحان، من ش الشيخ منصور، المرج الغربية، القاهرة، مصر

هاتف: 01111947957

بريد إلكتروني: daroktob1@yahoo.com





مقدمة

يقول الله تعالى في القرآن الكريم، سورة المائدة:

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (27) لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (28) إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أصحاب النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ (29) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأصبح مِنَ الْخَاسِرِينَ (30).

في سفر التكوين، إصحاح 5: فقال الرب لقايين: «أين هابيل أخوك؟» فقال: «لا أعلم! أحارس أنا لأخي؟» 10 فقال: «ماذا فعلت؟ صوت دم أخيك صارخ إلى من الأرض. 11 فالآن ملعون أنت من الأرض التي فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك. 12 متى عملت الأرض لا تعود تعطيك قوتها. تائهًا وهاربًا تكون في الأرض». 13 فقال قايين للرب: «ذنبي أعظم من أن يحتمل. 14 إنك قد طردتني اليوم عن وجه الأرض، ومن وجهك أختفي وأكون تائهًا وهاربًا في الأرض، فيكون كل من وجدني يقتلني». 15 فقال له الرب: «لذلك كل من قتل قايين فسبعة أضعاف ينتقم منه».

خلق الله تعالى آدم كما تعلّمنا منذ الصغر، فأخطأ، ثم كانت الخطيئة الأكبر بعد عصيان الله، ألا وهي القتل، هناك أنواع كثيرة من القتل التي

مرّت على التاريخ البشري منذ التكوين حتى وقتنا هذا، منها على سبيل المثال: القتل بغرض الانتقام، والحرب، والاستعمار، والنزاع والشرف والدفاع عن الأرض والعرض، والثأر، وهناك القتل الرحيم للمرضى المستعصية حالاتهم بالشفاء، هناك القتل الخطأ، القتل بغرض التضحية لدين ما، هناك الحد الديني، هناك الإعدام والإجهاض وهو يعد قتلًا، والكثير والكثير، ولكن ما يحيّر ويستحق الدراسة بالفعل، هو التلذذ بالقتل، القتل المتسلسل والذي لا دافع له إلا الاستمتاع، هل يمكن أن يتحوّل كلّ منا إلى قاتل؟ هل بالفعل بداخل كلّ منا قاتل ينتظر إشارة البدء ليتحوّل إلى سفّاح يقتل ويعيث فسادًا؟

يقول المختص في علم الأحياء العصبية يواخيم باور: "الناس الأصحاء نسبيًا لديهم خوف كبير من أن يلحقوا الأذى بأناس بفضل نظام الخلايا العصبية المرآتية الموجودة في المخ، فإن الآلام التي يشعر بها الآخرون هي أيضًا نفس الآلام التي نشعر بها أيضًا"، بمعنى أن الأصحاء جسديًا ونفسيًا يخافون إيذاء غيرهم لأنهم يستشعرون آلامهم، يضعون أنفسهم مكان الضحية فيخافون خوفهم، يضيف: هناك عملية وحشية معينة تم اصطحابهم إليها ثم هناك شيء ما يتأذى في المخ ونصل إلى نقطة محددة حيث تفرز مشاعر النشوة. إنها ظواهر سيكوباتية يمكن إنتاجها لدى الجنود الأطفال والتي ليست من التصرفات العادية للإنسان الطبيعي، هنا يفسّر أسباب القتل إلى طرق ممنهجة يتبعها الأشخاص مع الأطفال عن طريق تعرضهم لقتل ذويهم أمامهم، فيتحولون إلى قتلة مع الوقت وأن هذا ليس من تصرفات الإنسان المتوارثة ولكنها صفة مكتسبة.

كونراد لورينز في كتابه "حول العدوانية" يقول إن الحيوانات من نفس النوع لا تتقاتل حتى الموت. انظر إلى الغزال عندما ينطح غزالًا آخر بقرنه فهو ينطح رأسًا برأس. أما أسماك البيرانا القاتلة عندما يقاتل بعضها بعضًا فهي تقوم بالضرب من الذيل، وعندما تقاتل أسماكًا اخرى فتعض بأسنانها حتى الموت. أما في صراع الديكة فقد تم تدريب هذا النوع من الديكة لتقتل. مثلها مثل كلاب البيتبول التي يتم تدريبها لتقتل ويركز التدريب على تعليمها من هو العدو ومن هو الصديق وثم تدريبها بانتظام مستمر وفرض السيطرة عليها من خلال قيادتها وربطها. وبهذا التدريب حوّلنا هذه الحيوانات إلى قتلة لحيوانات من نفس جنسها، كذلك البشر، يتمتعون بغريزة القتل منذ النشأة الأولى تجري في دمائهم مجرى الدم، كان لديف جروسمان رأي آخر من حيث الاستمتاع بالقتل حيث يرى جروسمان أن الإنسان عندما يقتل في المعركة لأول مرة يكون الأمر صعبًا، ولكن مع استمرار عملية القتل ينتشي ويشعر بالنصر، ثم ما يلبث بعدها أيام فيشعر بالندم والغثيان ومع استمرار الحياة يفكر في عقلانية الحدث وقبوله نفسيًّا وإذا فشل الشخص يقع ضحية لمعضلة نفسية. ولكن إن كانت الأحداث القتالية مقبولة في المجتمع الذي ينتمي إليه فإن المجتمع سيرحب به ويقبله. هذا القبول هو ما يخفف عليه وربما يجنبه العقد النفسية المصاحبة لهذه الأعمال.

عندما ينتقد القاتل بأنه قتل النساء والأطفال والشيوخ فإنه في قرارة نفس يقول: نعم قمت بذلك فعلًا، وتصيبه اضطرابات نفسية عميقة كامنة لا تخرج أبدًا تؤرق مضجعه. عندما يُقتل صديق للشخص وهو يقاتل صفًا بصف معه يقول: الحمد لله أن الضحية لم تكن أنا. ربما كانت البداية حمدًا، ولكن مع الوقت تصبح ندمًا على خيانة الصديق ولو بالتفكير. ربما عاش مسالمًا معذبًا أو تحول إلى سفاح ضد المجتمع أو شخصية عدوانية بين هذين الطيفين. وهذا ما يقودنا إلى مناقشة ما يحدث في القتال الفردي المدني والجريمة ضد المجتمع.

ومن هنا، نفرّق بين القتل في الحرب، والقتل المدني في المدينة، في الحرب الأمور تحت السيطرة. هناك تنظيم لاستخدامات الفص الجبهي ومنطقة الإحساس والغرائز بالطريقة المطلوبة، اما في المدينة فإننا غير منضبطين لأننا تعلمنا القتل واستخدام السلاح ولم نتعلم كيف نستخدمه بانضباط. عندما نرى القتل بالسينما نضحك أو نرى إعلانات بعدها لمأكولات شهية. فنحن ربطنا المعاناة والألم والعذاب والقتل بالمتعة. وعندما يلعب الأطفال والشباب في ألعاب الفيديو فإنهم يحملون السلاح الذي يحاكي السلاح الطبيعي ويهتز ونضغط الزناد فنفجر رأس الشخص ونرى الدماء تسيل لتعلن أن اللون الأحمر أصبح مألوفًا (1).

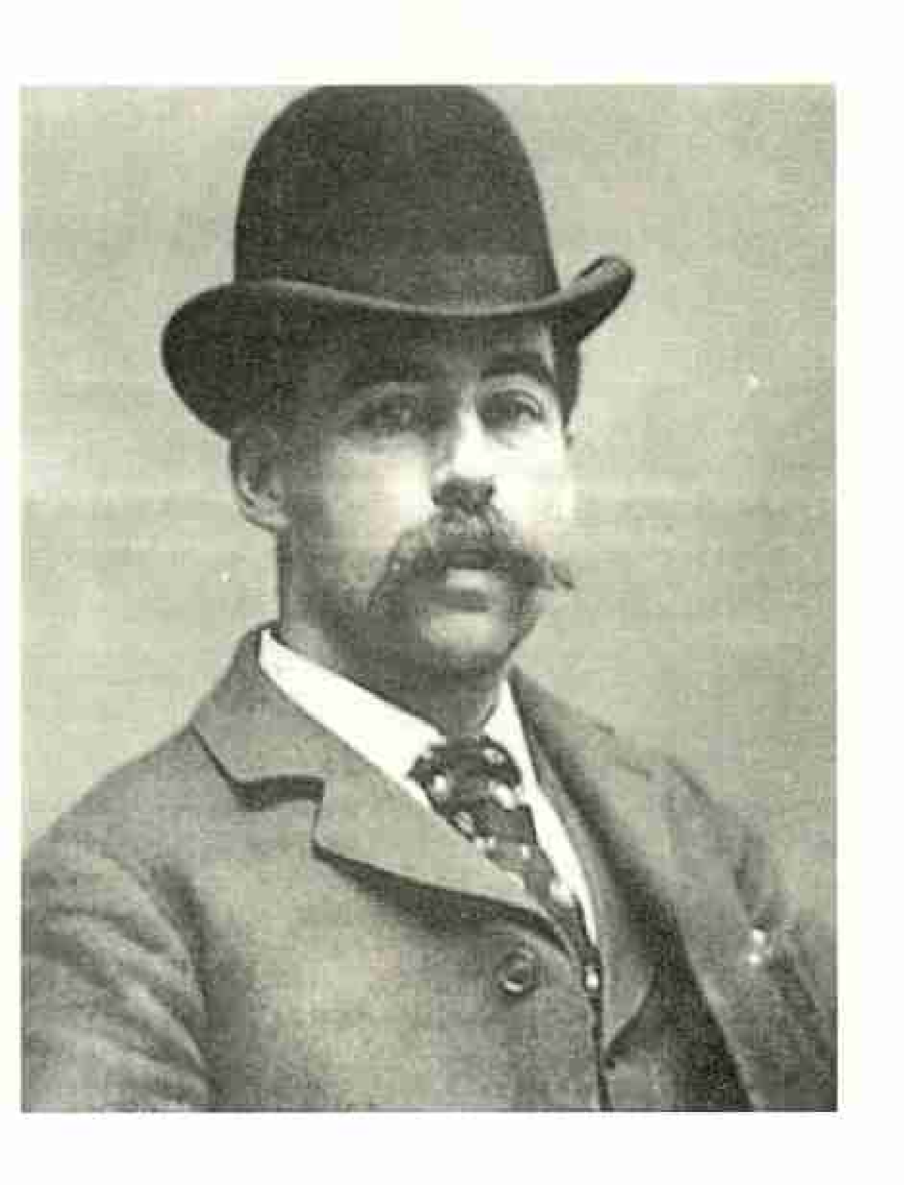
على أي حال، اختلفت الآراء حول سيكولوجية القتل والاستمتاع به وتوجه القاتل إلى الجريمة، هل بمحض المصادفة، أم جنون العظمة، أم هي غريزة متوارثة أم هو نابع من السادية أو غيرها؟

في كتابنا هذا، سنتناول قصص **10** من القتلة المتسلسلين على مرّ التاريخ، نتناقش في نشأتهم، نموهم والظروف التي تعرّضوا لها، حتى وصولهم إلى الجريمة وشعورهم نحوها، لربما كشفنا بعضًا من جوانبهم النفسية وحللناها معًا، لربما عشنا حياتهم ووجدنا المبرر، هناك جانب إنساني ما، وهو ما سنحاول طرحه هنا.

***

هيرمان ويبستر مدجت







حين نبدأ الحديث عن القتل المتسلسل، لا بد لنا أن يكون أول حديثنا عن الأب الروحي للقتل المتسلسل في التاريخ، أوّل من أطلق عليه قاتل متسلسل بالمفهوم الحديث للمصطلح.

لكي نفهم مكنون الشخصية وسبل تكوينها لنصل إلى حبّه للقتل، يجب علينا أن نناقش معًا تكوينه الطفولي، كيف كان؟ كيف نشأ؟ كيف كان ذووه يعاملونه أو كيف كان أهله يتعاملون معه.

الأب الروحي للقتل المتسلسل هو القاتل المعروف بـ"إتش إتش هولمز"، كما أطلق عليه الإعلام وقتها، أو هيرمان ويبستر مدجت.

ولد هيرمان ويبستر مدجت بمقاطعة صغيرة تسمّى غلامنتون، ريفية تتبع ولاية نيو هامبشاير العام 1861، والداه فلّاحان بسيطان يعملان بالزراعة كسائر جيرانهم في تلك الأيام، كان والده مدمنًا على الكحول ولكّنه كان يحظى باحترام السكّان كافة، حيث كان مديرًا لمكتب البريد المحلّية.

كان والده حاد الطباع، نتيجة إدمانه على الكحول كان يذيق هيرمان الكثير من الضرب المبرح بسبب وبدون، قاسى هيرمان الكثير من والده مما

قد اثر في شخصيته ونفسيته على مدار أعوام من الإهانة والتنكيل لدرجة أنه غيّر اسمه من هيرمان إلى إتش إتش هولمز، واحتفظ به طوال عمره.

وكما يقول الطب النفسي. إن تعمّد الإهانة من الوالدين قد يكون عاملًا في الاضطراب النفسي لدى الطفل مما يؤهله إلى الجريمة شيئًا فشيئًا، وهكذا، ترعرع هيرمان على الضرب والإهانة.

ولكن يحسب له أنه كان متفوقًا في دراسته. كان طالبًا مجتهدًا بالرغم من تحوله إلى السادية والمشاكسة مع الحيوانات، فقد كان يتلذذ بقتل الحيوانات وتعذيبها.

ترعرع هيرمان طالبًا متفوقًا في مدرسته إلا أنه كان دائم الصراع على التحرر من أهله، مما دفعه للزواج وهو في سن السادسة عشرة بـ كلارا لافينج، بعدها، تقدّم لدراسة الطب في جامعة شيكاغو وقد اعتمد في أقساط كليته على بعض المال الذي كانت تدّخره زوجته من عائلتها، كان يعتدي عليه زملاؤه ويعذبونه في أثناء دراسته في كلية الطب، حيث كان يدرس، وقد تعرض لموقف وحشي وعنيف، عندما قامت مجموعة من زملائه بحبسه في دولاب مظلم، وبجانبه هيكل عظمي، ووضعوا يديه على وجه هولمز، ولكن لم تكن تلك مشكلة، الأموال كانت مشكلته الكبرى،ز كأي شرير عبقري في الدنيا، فقد ابتكر هولمز طريقة عبقرية لجمع المال السريع.

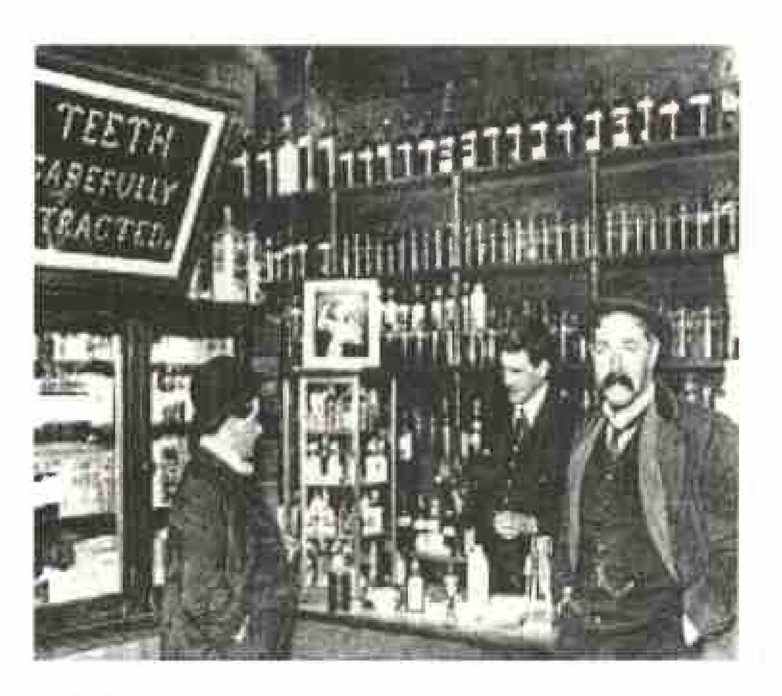
فقد كان يدرس الطب، وكان يسرق الجثث من ثلاجات الموتى في بالجامعة، ثم يقوم بتشويهها حتى يظن الناظر إليها أنها جثة في حادثة قتل، ثم إنه يقوم بزرعها في مناطق متفرّقة في المدينة، وحين يتم اكتشاف الجثّة يدعي أنه قريب للمقتول ويطالب بمبلغ التأمين من شركات تأمين سبق أن أمّن على أسمائهم قبلها.

ظل على هذا المنوال حتى ضاق به الحال وقل معدّل اكتساب النقود في يده، فسافر هربًا من كل شيء، زوجته وشركات التأمين وكل شيء باحثًا عن مصدر دخل آخر، ترك نيوهاماشاير في عام 1879، اختفى حتى عام 1885 حيث ظهر في شيكاغو، وتعرّف إلى فتاة من عائلة غنية اسمها "مارتا بلكنب" وتزوجها، وبأموال عائلتها افتتح مكتبًا للطباعة، ولكن لم ييسر له الأمر فهرب ثانية ليظهر مرّة أخرى في غرب شيكاغو، كعامل مساعد في صيدلية الدكتور هولدن، كان إتش إتش هولمز عاملًا نشيطًا، وسيمًا لبق اللسان، تعشقه السيدات، وكان هذا عاملًا مهمًّا في ازدياد عمل الصيدلية، لم تر له الصيدلية مثيلًا، وحين مرض مستر هولدن، تركت زوجته أعمال الصيدلية لذلك العامل الذي أصبح محل ثقة لديهم لتعتني بزوجها، اكتسب ثقتهم سريعًا خاصة أنه طبيب، أما عن هولمز فقد كان يتصيّد الوقت المناسب ليبدأ خطته المحنّكة للاستيلاء على الصيدلية ومن بعدها البدء في مشروع غريب سنتناوله بالتفصيل.

وقد حانت الفرصة بعدما تُوفي السيد هولدن، وبعدها أقنع إتش إتش هولمز زوجته ببيع الصيدلية له بالمبنى بكل شيء حيث كان المبنى ملكًا

للدكتور هولدن، وقد وافقت على شرط أن يتركها تسكن في الشقة التي تعلو الصيدلية، وقد وافق.

ولكن ما إن مرّت الأيام حتى اختفت مسز هولدن، وقد أخبر هولمز الجميع أنها انتقلت إلى كاليفورنيا، ولكن أين اختفت مسز هولدن؟



مرّت الأشهر، وعمل الصيدلية في أوج نشاطه، كان هولمز نشطًا جدًّا في عمله، يجمع الأموال ويشتري الأراضي المحيطة بالصيدلية، وكان يبني على هذه الأراضي مبنى غريبًا جدًّا، ضخمًا متعدد الأشكال، كان المبنى من تصميم هولمز نفسه، وكان يغيّر العاملين على إنشاء المبنى كل عدّة أيام

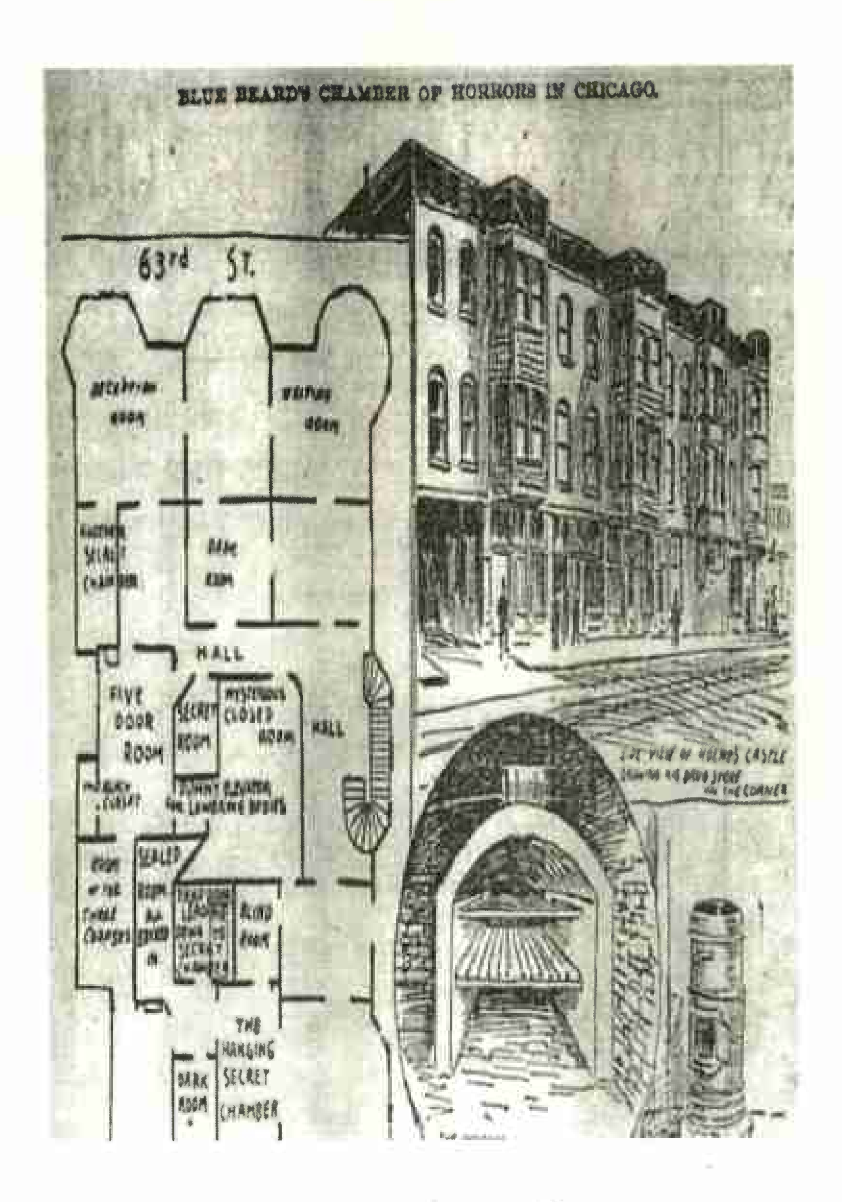
بحجة أنه لا يعجبه كسلهم أو عملهم حتى لا يتسنّى لأحد معرفة التصميم بشكل كامل، وهو ما كان يأمل أن ينجح لأغراض كانت في ذهنه وقتها، وقد أسماه السكّان وقتها بالقلعة لتصميمها الغريب.

كان يتكوّن من طابق أرضي يتكوّن من بضعة متاجر فخمة بالإضافة إلى صيدليته بالطبع، اما الطوابق العليا فقد كانت تحتوي على مكتبه الخاص، بالإضافة إلى مائة غرفة صمّاء تحتوي على نوافذ مغلقة معدنية وأبواب الغرف لا تفتح إلا من الخارج، وكان الطابق مليئًا بالممرات السرية والمتاهات حتى لا يخرج منها أحد أبدًا، متاهات إلى متاهات إلى درج يقود إلى علو شاهق لا يوجد خلفها الا فضاء وخراب وراء القلعة، وأبواب تفتح على جدران، وأبواب مسدودة وباب يقود إلى باب، كل الغرف كانت مزوّدة بإنذار معيّن يعرف من خلاله هولمز إذا كان أحدًا قد فرّ هاربًا من الغرفة، أنابيب غاز تمتد إلى الغرف كلها لها لوحة تحكّم واحدة لدى هولمز في مكتبه.

بالإضافة إلى سرداب كبير يقبع أسفل القلعة يحتوي على براميل من الأحماض الكيماوية وأفران لحرق الجثث، اكتمل البناء عام **1891**، وقد قرر هولمز افتتاحه كفندق عام **1893** وهو وقت احتفال أمريكا بمرور أربعمائة عام على اكتشاف كولومبوس لقارة أمريكا، عند الافتتاح، وعلى مدار ثلاث سنوات، تفنّن هولمز في تعذيب ضحاياه اللائي اختارهن من العاملات في مبناه. فقد افتتح المتاجر في قلعته واشترط على العاملات "اللائي كان يختارهن من الجنس الآخر" على التوقيع على بوليصة تأمين على الحياة يدفع أقساطها هو ويكون هو الوحيد المستفيد بها، وكان هذا

شرطًا أساسيًا للعمل عنده، كان يعذّب من يعذّب من العاملات، ويسرّح الأخريات قبل مضي أسبوعين على عملهن بأي حجة، وقد كان قانون العمل وقتها ينص على أن في حالة عدم مرور أكثر من شهر على العمل في أي جهة فلا يحق لصاحب العمل الدفع لعامليه، وبهذا نفهم أنه لم يدفع قرشًا واحدًا لعاملاته قط، كان يقتل العاملات بعد تعذيبهن ثم يقوم بحرق جثثهنّ، وأحيانًا كان يقتل بعض النزلاء في فندقه من العاشقين الذين يبحثون عن ملجأ للتعبير عن حب بعضهم لبعض، فتنتهي تلك العلاقة بالقتل، كان يقتل بالغاز كأسهل حل بعيدًا عن التعذيب، أغلب ضحاياه كن من الفتيات اللائي كان يصطادهن بإعلان في الجرائد عن وظائف شاغرة، أو إعلان زواج مستغلًا وسامته وأمواله، وكن يقعن في براثنه بسهولة، أما عنه هو فقد كان يختار ضحاياه بعناية، فقد كان يفضّل الضحية التي لا أهل لها حتى لا يسأل عن غيابها أحد، وكان يقنعهن بجلب أموالهن ومدخراتهن بحجة تشغيلها، وكان يشترط عليهن ألا يخبرن أحدًا بمكان توظيفهن بأكثر من حجة.

ما إن تطأ قدم الضحية الطابق العلوي للفندق حتى تصير سجينة في قلعته إلى الأبد، كان هولمز يتلذذ بتعذيبهن بشتى أنواع التعذيب.



BLUE BEARD'S CHAMBER OF HORRORS IN CHICAGO.
63rd ST.
HALL
FIVE DOOR ROOM
SECRET ROOM
MYSTERIOUS CLOSED ROOM
HALL
SEALED ROOM
BLIND ROOM
THE HANGING SECRET CHAMBER
DARK ROOM

فقد كان يغتصبهن بشدّة ودموية، يقتطع أجزاء من أعضائهن بفظاظة شديدة، جلدهن، ضربهن بقسوة، منع الطعام والشراب عنهن، وكان يتركهن لأيام أو أسابيع على حسب مزاجه حتى يسأم منهنّ ثم يقوم بقتلهن بالغاز، ثم يقوم بفصل الهيكل العظمي عن اللحم ليتمكن من بيعه كموديل لكليات الطب، وفي النهاية يقوم بحرق البقايا أو إذابتها في الحمض.

كانت الغرف جدرانها حرارية، يأتي الليل فيشعلها لتحترق الضحية بالداخل ببطء.

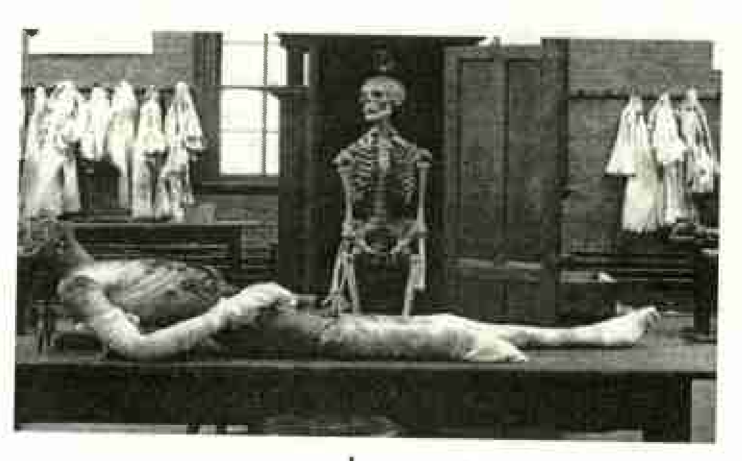
سنوات مرّت على هولمز وهو يفعل ما يفعل ولم يكشفه أحد قط، لم يكتفِ هولمز بقتل ضحاياه فقط، فقد وظّف بعضهن لمساعدته في جرائمه تلك، على سبيل المثال " جولي "،



جولي قدمت إلى شيكاغو مع زوجها وابنتها "بيرل" للعمل، وكان زوجها يعمل في متجر الحلي والجواهر في متاجر هولمز، ولكن سرعان ما وقعت جولي في حب هولمز، وصارت عشيقته بعيدًا عن زوجها، الذي بدوره راودته الشكوك لخيانتها معه فقرر الهرب بعيدًا عنهم.

جولي كانت على علم بجرائم هولمز وكانت موافقة كلية، وكانت تغير عليه كثيرًا جدًا، حتى إنها كانت تتفوّه بكلام أمام الجميع مما جعل هولمز يعمل على قتلها، بعد أشهر حملت منه، وقد قرر هولمز إجهاضها بيديه في فندقه، وقد تلذذ بإجهاضها حتى توفيت على يديه، ثم إنه أخذ ابنتها من يديها وقادها إلى غرفة أخرى، وقام بقتلها هي أيضًا، ثم استخرج هيكلهما العظمي وباعهما لمؤسسة طبية في شيكاغو.

يقول هولمز: لقد كان لا بد لي من التخلّص منها فقد أصبحت ضجرًا منها ومن طيشها.



ضحية اخرى اسمها " إيميلين ساكرند " كانت رائعة الجمال على حد وصفه، أغواها بالعمل لديه مقابل عائد مادي كبير جدًا، فوافقت، ثم ما إن دخلت الفندق وصعدت إلى الطابق العلوي حتى تحولت إلى سجينة لديه، يقول هولمز إنه أحبَّها كثيرًا وأحب صراخها، حتى إنه أبقى عليها شهرًا كاملًا بعكس الفتيات الأخريات، كان يغتصبها يوميًا ويقوم على تعذيبها حتى ضجر منها فقتلها، وحين اختفت بحث عنها خطيبها رالف الذي حاول الدخول إلى الفندق للبحث عنها، وحين صعد إلى الطابق العلوي حتى تحول بدوره إلى ضحية هو الآخر، عمل هولمز على تعذيبه بشتى الطرق الممكنة، فقد كان يعمل على تجربة يقيس بها مدى تحمّل جسم الإنسان التعذيب، فقد كان يعذّبه بشتى الطرق منها طاولة اخترعها تتمدد لأقصى مدى كان يربطه فيها ثم يقوم بتمديدها حتى تتمزّق مفاصله.

ثم في النهاية قام بقتله وحرق بقاياه كالعادة.

على مدار ثلاث سنوات منذ الافتتاح، قدم هولمز على قتل أكثر من ثلاثين ضحية بنفس الشكل على حد قوله وإن كان العدد يفوق ذلك بكثير، حتى عام 1894.

ثم كان الركود الاقتصادي بعد معرض كولومبوس العالمي في شيكاغو مما أوقف أعماله وساد الركود، ثم كثرت ديونه، فاضطر إلى هجر متاجره وفندقه والهرب إلى تكساس للبدء من جديد، هناك، تعرّف إلى فتاة تُدعى "ميني ويليامز" من عائلات تكساس الأغنياء، ميني لم تكن تقل دناءة عن هولمز التي عشقته، ثم قامت بقتل شقيقتها بنفسها للاستيلاء على ميراثها، ثم رافقت هولمز لأيام حتى قتلها هولمز واستولى على إرثها، وحاول بناء

قلعة أخرى على غرار قلعته في شيكاغو، فعدّل عن ذلك حيث إن القانون في تكساس غير متهاون أبدًا مع الجريمة.

سجن بعدها هولمز لأول مرة بسبب تافه وهو سرقة حصان، وفي السجن تعرف هولمز إلى "ماريون هيدجيبث" ولأول مرة يثق بشخص غريب ويفصح له عن أسراره، وقد اتفقا على خداع شركة تأمين للحصول على أموال تأمين على الحياة؛ وذلك بتزوير شهادة وفاة هولمز بمساعدة من هيدجيبث مقابل 500 دولار، تحصّل هولمز على الأموال ثم لاذ بالفرار بدون أن يعطي ماريون قرشًا واحدًا، وكان هذا أول مسمار في نعش السفّاح هولمز.

بعدها، أقنع هولمز شريكه بنيامين بيتزل بتزوير وفاته للتحصل على أموال التأمين والتي تقدّر ب10000 دولار ومن ثم تقاسمها معًا.

وافق بنيامين حيث إن أوضاعه المالية لم تكن على ما يرام قط خاصة أنه مدمن على الكحول وأب لخمسة أطفال، وكانت المفاجأة أن هولمز قتل بنيامين فعلًا، حيث إنه خدّره بجرعات كبيرة من الكلوروفورم، ثم أشعل النار فيه حيًّا.

ثم تقدّم للحصول على مبالغ التأمين، وبعد حصوله عليها ذهب إلى زوجته وكانت تسمّى كاري وأقنعها أن زوجها قد هرب، وان عليهم ان يصرفوا مبالغ التأمين، وحتى يتم هذا عليها أن تترك ثلاثة من أطفالها معه لسهولة تحرّكها، وأن تذهب لتعيش مع والديها في كندا، ثم يصرف هولمز المبلغ ويأتي بأطفالها إلى كندا.

بالفعل قامت زوجته كاري بذلك، أما هولمز فقد أخذ الأطفال الثلاثة وتنقّل بهم من ولاية إلى أخرى، وفي كل ولاية كان يقتل طفلًا، حيث قتل طفلتيها أليس ونيلي في تورنتو بأبشع الطرق، ثم قتل الثالث "هوارد" في إنديانابوليس.

في نفس الوقت، قامت السلطات بالقبض على ماريون هيدجيبث بتهمي تزوير وفاته والتحصّل على أموال التأمين، وهنا، قرر هيدجيبث بالوشاية بـ إتش إتش هولمز الذي هرب بدون أن يدفع له، أخبر الشرطة بعملية النصب التي تمّت وقتها، قامت الشرطة بعمل بعض التحريات عن إتش إتش هولمز، ومن ضمن التحقيقات أن حرّاس قلعته في شيكاغو أخبروا الشرطة عن اختفائه وأنه لم يكن يسمح لهم بدخول الطوابق العليا نهائيًّا، هنا، تسرّب الشك في نفوس رجال الأمن، وقرروا اقتحام القلعة ليلًا، ويا لهول ما رأوه.

لم يكن في الحسبان قط أن يروا ما رأوه بالداخل، كان أقصى ما يتوقعون أن يعثروا على حسابات وهمية أو أموال مخبّأة، ولكن كان أوّل ما وجدوه هو أحد أفران هولمز، وبداخله أجزاء من أجساد نساء وشعورهن، محترقات بلا عظام، ثم كان السرداب، حيث البراميل أو ما أسموه بـ"شوربة الموتى"، براميل من السوائل الغليظة التي تحتوي على بقايا الأجساد التي يتم إذابتها بها، وكانت جثة طفل لم تذُب جيدًا وهي جثّة بيرل ابنة جولي.

تعمّق في البحث، اسم تلو الآخر، مفقودون منذ مهرجان كولومبوس، تكشّف كل شيء،ثم إنهم ألقوا القبض على إتش إتش هولمز وهو في طريقة إلى كندا تحديدًا في فلاديلفيا.

اسم تلو الآخر، كاتي التي كانت تعمل في مطعم بالقلعة، ابنتها آن، أختها ليز، ويلفرد كول الذي دخل الفندق ولم يخرج مطلقًا، كل مفقودي المهرجان والذي تعدت أعدادهم الـ230 ضحية، هاري ووكر سكرتير هولمز السابق، أسماء كثيرة كانت تكشف يوماً بعد يوم مستندة إلى كومة العظام التي كان يحتفظ بيها هولمز في سردابه ويصنع منها هياكله العظمية، وشوربة الموتى التي كانوا يستخرجون منها البقايا.

بالرغم من العدد المهول لضحاياه، لم تحاكمه المحكمة إلا على 27 ضحية فقط، حيث إن غالبية الجثث والبقايا كانت متداخلة بشكل يصعب على المحققين والطب الشرعي تحديد هوياتهم كلها.

هولمز اعترف ب27 جريمة قتل فقط في البداية، ثم ما انفك ينفي عن نفسه التهم ويدعي البراءة، وقال إنه لم يكن في وعيه وأن الشيطان يسيطر على جسده، مما صعّب الموضوع على المحققين كثيرًا في إثبات جرائمه باعترافاته المتناقضة.

وفي 7 مايو من عام 1896، تم إعدام هولمز في فلاديلفيا، وفقًا لمراسل نيويورك تايمز الذي حضر لحظة الإعدام، صرّح بأنه كان هادئًا جدًّا وقت تنفيذ الحكم، وأنه ظل أكثر من 10 دقائق كاملة يتلوى ولا يموت حتى تأكدوا من وفاته بعد 15 دقيقة. وقد أوصى هولمز بدفن جسده على عمق

10 أقدام، وأن يصب الإسمنت المسلّح على قبره، ويفسّر المختصون هذا أنه كان يخاف من أن يعبث سارقو القبور بقبره كما كان هو يفعل من قبل.

"لقد ولدت والشيطان يعيش في داخلي، أنا لا أستطيع أن أخبركم بأي قاتل، كما لا يستطيع الشعر وحده أن يلهم أغنية، لقد ولدتُ والشر يقف إلى جانب سريري كالعرّاب وانطلقت معه إلى العالم، ولقد كان معي منذ ذلك الحين".

وهنا، انتهت أسطورة أول قاتل متسلسل في التاريخ الحديث، بكلماته الأخيرة، التي نحاول أن نستنبط منها لماذا يتجه القاتل إلى القتل في النهاية، كيف يموت الضمير عند القاتل، وما الأثر النفسي الذي يتسبب في تحوّل الشخص من شخص عادي إلى قاتل محترف.

كان هنا عامل الأسرة، والطموح في الثراء السريع السبب الأول في تحوّله إلى قاتل يتلذذ بالتعذيب، لا يهاب الموت، ينظر في عين ضحاياه كالدمى فلا ينفعل أو يتأثر، فكانت نهايته الموت بالإعدام.

***

عبد العالي الحاضي



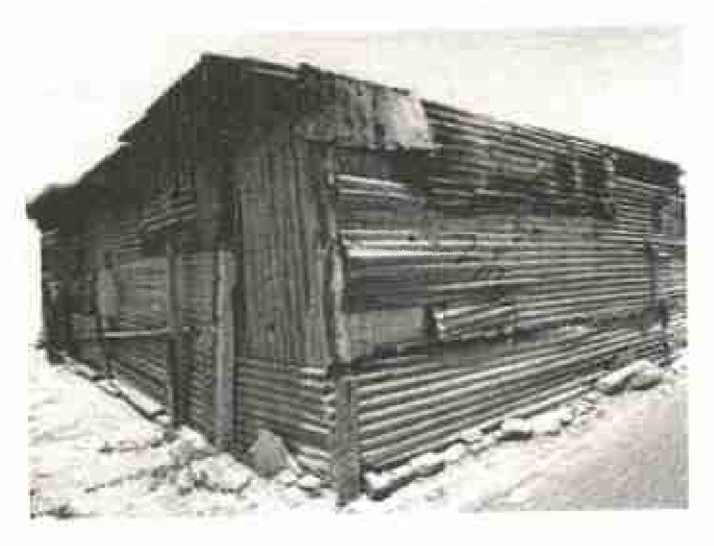




في المغرب العربي، بلاد العرب والأمازيغ، حيث المملكة الهادئة المـ ـة كما عهدناها، ظهر بها قاتل لا يقل خطورة ودموية عن سلفه، في الجنوب المغربي تحديدًا في مدينة تارودانت، المدينة الريفية ذات الطبيعة الخلّابة والتي يقتنها الأمازيغ أصحاب الحضارة العظيمة والبطولات الحربية مع المسلمين والعرب، من بلاد الأمازيغ، بزغ نجم ذلك القاتل الذي سيتحاكى بسيرته المغرب العربي كله أعوامًا تلو الأعوام، عبد العالي الحاضي من مدينة تارودانت، كلمة تارودانت هي كلمة أمازيغية تعني بالعربية "الأولاد ذهبوا" وكأن من اختارها كان يرى المستقبل بالفعل، عبد العالي الحاضي، ذلك القاتل الذي إذا ما قابلته فلم تشك به قط، يملك ذلك الوجة الذي يوحي لك بأنه فقير طيب لا يملك الا الدعاء، عبد العالي الحاضي، هل هو مجرم يستحق القتل؟ أم مريض نفسي يستحق العلاج؟، أم هو مجرّد ضحية مجتمع أوصلته حالته لما فعله لاحقًا؟

وُلد عبد العالي عام 1962 لأب خباز وأمٍّ عاطلة، فقير كان، ترك الدراسة عام 1975 في المرحلة الابتدائية لفقره وعمل في ورشة ميكانيكا السيارات كمساعد لصاحبها، ولكن كانت الحادثة التي غيّرت مجريات حياته إلى الأبد، حيث إنه في ليلة كان قد أنهى عمله متأخرًا، وهو في طريقه إلى بيته المصنوع من الصفيح، اعترض طريقه بعد الشبّان المخدّرين

ثم قاموا باختطافه، ومن ثم اغتصابه اغتصابًا كاملًا، اغتصابا ترك في نفسه كسرًا تحول إلى رغبة في الانتقام لنفسه من المجتمع، بالطبع لم يستطع أن يعترف بما وقع فيه لأي من أفراد اسرته، ودفن السر بداخله شيئًا فشيئًا ليتحول إلى رغبة جامحة في تكرار الأمر مع غيره، بعد سنوات، توفّيت والدته، وتزوج والده بأخرى والتي كانت تعامله معاملة وحشية أفضت به في النهاية إلى الهرب والرجوع إلى تراودانت مدينته الأم بعد أن كان قد انتقل إلى مدينة انذكاو في المغرب.



في تلك الأرض الوعرة في أرض المحايطة في تراودانت، تنقّل عبد العالي بين وظيفة وأخرى، ما بين صنع الأجور والبناء وميكانيكا السيارات حتى انتهى به الأمر مساعدًا للعمل مع بائع مأكولات خفيفة على دراجة نارية ذات ثلاث عجلات، استمر في تلك المهنة أعوامًا، كان وقتها لا ينسى أبدًا

الجرح النفسي الذي تعرّض له حينما كان طفلًا، لا ينسى وجوه مغتصبيه ولا تعليقاتهم ولا إهانته على أيديهم، كان يحاول دائمًا الهرب من تلك الذكريات بتعاطي الخمور و الحشيش ولعب القمار، ولكنه فشل في النسيان، لم ينسَ تلك الليلة قط، لم ينسَ والده وهو لا يتوانَ عن ضربه واقتياده للعمل وهو طفل يريد اللعب كباقي كأقرانه، ولا وجه أمه المريضة التي كانت تسلّم روحها لبارئها أمام عينيه.

مرّت الأعوام، تحديدًا في عام **2001**، كان عبد العالي قد نما بداخله ذلك الإحساس، يريد الانتقام ولكن كيف؟

هنا، جالت على باله فكرة وكان لا بد من تنفيذها، كان عبد العالي يلاحظ توافد الأطفال المتسولين وأصحاب المهن اليدوية كماسحي الأحذية وخلافه على محطات الحافلات بشكل مستمر لممارسة أعمالهم على المارة، فذهب يومًا من أيام عام **2001** إلى محطة الحافلات الرئيسية بعربة مأكولاته، ثم إنه نظر مليًا بين الأطفال حتى لمح طفلًا يجلس وحده يتسوّل المارة، فاقترب منه عبد العالي ثم إنه أخرج بعض المأكولات الخفيفة وأعطاها إياه مبتسمًا.

أخذ الطفل الطعام منه وأكله في شرهٍ، فقد كان يتضوّر جوعًا، فرغ الطفل من الطعام ثم تبادلا الابتسامات، فعرض عبد العالي على الطفل أن يأتي معه إلى منزله ليأكل كما يريد إذا كان ما زال جائعًا، وهو ما كان ينتظره الطفل أن يعرضه عليه هذا العم الطيب، فقام من جلسته وذهب معه في براءة وهو يُمنّي نفسه بوجبة تقويه على التسوّل قليلًا، عرض مجاني سوف يغنيه عن بعض العمل اليوم، إنه ليوم سعيد إذًا، ما إن وصلا إلى

منزل عبد العالي الحاضي، والذي كان منزلًا من الصفيح يتوسّط أرضًا خالية من العمار والسكّان اللهم إلا صاحب دكّان صغير كان يراه بصحبه طفل أو آخر ولا يعلّق، ما إن دخل الطفل إلى حجرة صاحب المأكولات الخفيفة، حتى هجم عليه عبد العالي، ثم قيّد يديه إلى ظهره، ثم استباح جسده الهزيل بالاغتصاب والضرب المبرح حتى يدمي من كل عضو من أعضاء جسده، كان يغتصبه ببشاعة، كان يعاقبه بالضرب انتقامًا مما حدث معه نفسه وهو طفل، ثم ما إن ينتهي حتى يخرج كيسًا بلاستيكيًّا ليضعه على رأس الطفل حتى يكتم أنفاسه إلى الأبد، بعدها، كان عبد العالي يهدأ قليلًا، يدخّن سيجارته، ثم إنه يحفر حفرة صغيرة تحت مضجعه ويضع الجثة بها بهيئة القرفصاء، ثم إنه يضع سريره فوقها والذي كان بلا أرجل، فقط مرتبة وبعض الأخشاب على الأرض، كان يضعها فوق الحفرة الصغيرة والتي كان يبرز منها أجزاء من الجثة، فيقوم بالضغط بجسده فوق الحفرة حتى تتكسر العظام اللينة للطفل ثم تستوي مع الأرض تمامًا.

كان شعوره تجاه ذلك الفعل شعورًا عظيمًا، كان يستريح من داخله ثم يمارس حياته بصورة طبيعية، وقد قرر أن يعيد الكرّة مرّات تلو المرّات.

كان يذهب إلى محطة الحافلات، يلتقط طفلًا بين العاشرة والسابعة عشر ممن يتسولون أو يعملون بمسح الأحذية أو الهاربين من أهاليهم، ثم يستدرجهم بالطعام حتى يكسب ثقتهم ثم يذهبون معه، فيكرر الفعلة حتى يدفنهم ويدهس عظامهم وينام.

يقول عبد العالي إنه لم يندم قط، ولكنه كان يهاب الكوابيس التي تهاجمه من حين إلى آخر، كان يرى الأطفال تأتي لتنتقم منه فيستيقظ مفزوعًا يوميًّا، وهو بالشيء غير المريح قط.



ظل على هذا المنوال طوال ثلاثة أعوام، كان يصطحب الأطفال ثم يغتصبهم ثم يقتلهم ويدفنهم تحت فراشه، وصل عدد ضحاياه إلى ثمانية أطفال بين العاشرة والسابعة عشرة، ما بين الكوابيس التي تراوده، وقتله للأطفال، لم يتوقف قط عن القتل إلا عام 2004 حينما علم أن صاحب الأرض التي أقام عليها منزله الصفيح قد قرر تحويل الأرض إلى بناية سكنية، وهنا خاف عبد العالي من اكتشاف أمره فقام بالحفر واستخراج عظام الأطفال وبقاياهم، ثم قام بجمعها ورميها على جنبات الوادي، وتناسى الأمر تمامًا.

في أغسطس من نفس عام 2004، أبلغ المارة الشرطة المحلية بعثورهم على جنبات الوادي الواعر بجانب النهر على بعض الهياكل العظمية الملقاة هنا وهناك، وهو الأمر الذي يعد أمرًا غريبًا في مدينة صغيرة وهادئة

كداوردانت، انتشر الأمر سريعًا وقامت الشرطة بنقل الهياكل العظمية إلى المعمل الجنائي الذي أقر بأنها أشلاء أطفال بين العشرة والسابعة عشرة، قتلوا في خلال الثلاثة أعوام الماضية "من عام **2001** حتى عام **2003**"، ونظرًا لبعض التهتكات وخلافه أقر المعمل بأنهم قتلوا خنقًا بعد اغتصابهم، هنا، بدأت تحريات الشرطة في القضية التي صارت قضية رأي عام وقتها، وكان للأمر شكوك بتجارة الأعضاء والعصابات التي تتاجر بها مما أثار الذعر على السكان هناك، ثم أفضى الأمر إلى بعض الأجانب المشهورين بالبيدوفيليا أو حب ممارسة الجنس مع الأطفال، تم القبض عليهم جميعًا واستجوابهم بلا جدوى، ثم أفرج عنهم جميعًا لعدم كفاية الأدلة.

وصل التحقيق إلى طريق مسدود بلا أمل في العثور على الجاني الحقيقي، ولكن أبى القدر ان يهدر دم هؤلاء الأطفال بلا ثمن، فعاودت الشرطة زيارة مسرح الجريمة ثانية، ظل البحث ساعات وساعات على أمل العثور على دليل بسيط فقط يقودهم إلى الجاني، إلى إن شاء القدر بكشف السفّاح، فقد لاحظ أحد الشرطيين عن طريق المصادفة على ورقة صغيرة متسخة ملقاة بجانب الجثث، التقطها الضابط وفتحها ليرى ما فيها، إذ مكتوب بها كلمة واحدة بالفرنسية **(Hadi)** أي "حاضي"، وهو ما قاد فريق البحث الجنائي وقتها للبحث عن صاحب ذلك الاسم، والذي تصادف مع اسم مساعد عربة المأكولات الخفيفة الذي يتجول دائمًا بجانب الحافلات المسمّى عبد العالي الحاضي، حينما ذهبت الشرطة لإلقاء القبض على الحاضي عند الحافلات.

لم تجده كعادته يتسكّع هناك، فقامت بالبحث عن مقر سكنه حتى استدلّت على كوخه المصنوع الصفيح، وما إن دخلت الشرطة مقر السكن حتى وجدوه بالداخل يجلس بهدوء تام، نظر لهم وقال بلكنته المغربية "النعاس، كنحلم بالدراري اللي قتلتهم واقفين على راسي، وغير البارح جاو وكبلوني ورموني بالجمر".

ما معناه بالعربية "أهلًا بكم، لقد كنت بانتظاركم لتخليصي من عذابي، لم يعد النوم يطرق جفوني، كل ليلة يأتي هؤلاء الأطفال الذين قتلتهم في الحلم، ويقفون على رأسي ويبكون، البارحة كبلوني ورجموني بالحجارة".

لم يُبدِ الحاضي أي توتر حين تم استجوابه، بل إنه كان متعاونًا إلى أقصى مدى ووافق على إعادة تمثيل جرائمه بشكل كامل، حين ذهب إلى السجن، كان يُعامله المجرمون بقسوة لبشاعة جرائمه، فتم اغتصابه في السجن أكثر من مرة بالعصا، وكانوا يفتعلون الشجار معه وكاد يقتل أكثر من مرة لتكون نهايته بالإعدام.

وتنتهي معه قصه روّعت المغرب العربي أعوامًا كثيرة، كانت آخر كلماته إلى القاضي جينا سأله: "هل أنت نادم على ما فعلت"؟

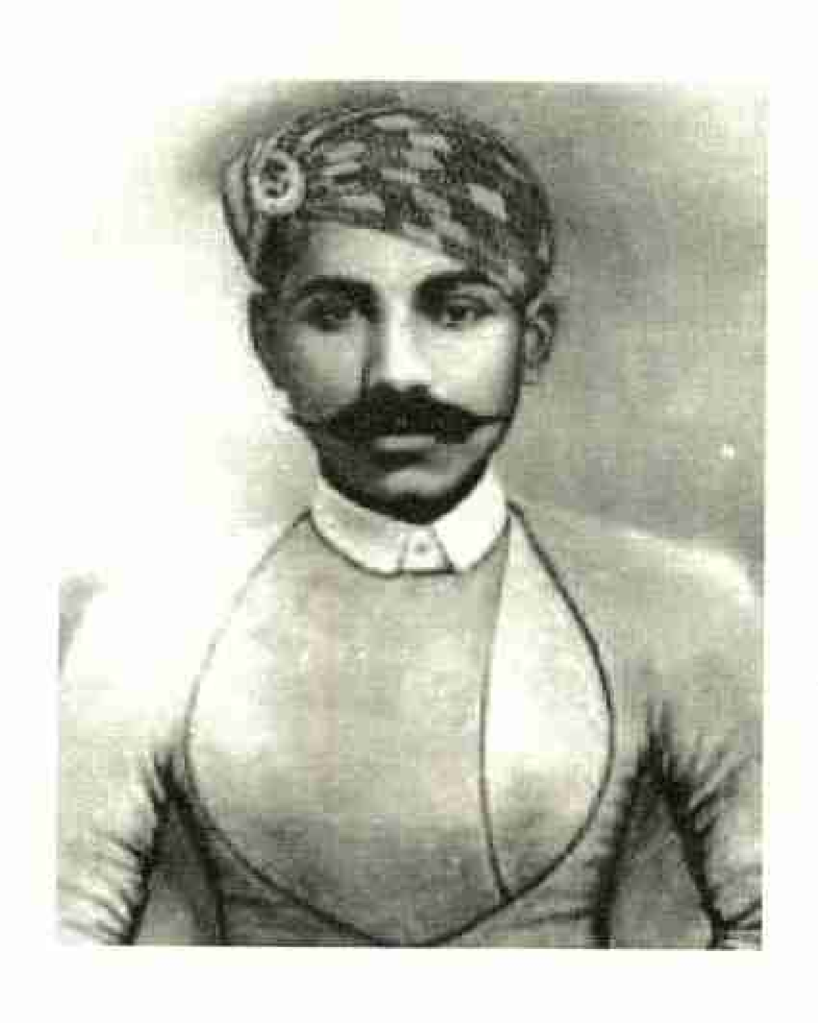
قال: هذا أمر بيني وبين الله يا سيدي.

هنا، نرى في تلك القصة أن القاتل كان ينتقم من المجتمع عن طريق تكرار ما تم معه وهو صغير، يرى المجرم هنا في خبايا نفسه أنه قد ظُلم من المجتمع، وأن عليه أن ينتقم لنفسه بالتلذذ باغتصاب الأطفال وقتلهم، هنا

هو رأى نفسه في كل طفل اغتصبه وقتله، كأنه يعاقب نفسه على الاغتصاب والتهتك الذي ألّم به، هنا القتل كان قتلًا نفسيًّا في الأساس، ولكن هل تتشابه كل حالات القتل مع عبد العالي الحاضي؟

***

ثوج بهرام



قد يكون مصطلح قاتل متسلسل هو مستحدث لحداثة الأمر، ولكن في التاريخ من يضاهي بشاعة القتلة المتسلسلين ويفوقهم عددًا من حيث أعداد الضحايا، بالطبع لا يعرف القتل بلدًا أو جنسية، فهي طبيعة موروثة في البشرية منذ قتل قابيل أخاه، وهنا نطير في رحلة إلى أقصى شرق قارة آسيا، بالتحديد في الهند، بين عامي 1704 و 1809 بزغ اسم عصابة من القتلة والتي جاء منها مصطلح سفّاح Thuggee اسمها "الخنّاقون" في الإنجليزية، هنا نحن نتحدّث عن عصابة كاملة من السفّاحين وهو أمر غريب على القتل المتسلسل، فمن المعروف أن القتل المتسلسل يتم عن طريق فرد إلى أربعة أفراد بحد أقصى، لكننا هنا نرى أنها عصابة كاملة، طائفة ابتدعت القتل المتسلسل يتزعّمها قائد يسمّى "ثوج بهرام"، ولمعرفة أصول هذه العصبة علينا ان نتتبّع أصول تكوينها وكيف بدأت.

تقول الأسطورة الهندوسية والتي هي من طقوس الديانة الهندوسية، أنه في بداية الزمان، حين كانت الأرض وليدة ما زالت تشق طريقها بين أقرانها من الكواكب، كان هناك وحش يأكل البشر ببشاعة، يلتهم البشر التهام المقبلات، وكاد يفتك بالبشر على حسب الرواية الهندية، ولكن ظهرت

من العدم الإلهة كالي، المعبودة كالي التي أقسمت على حماية البشر من ذلك الوحش ملتهم البشريين، قامت كالي بمواجهة الوحش الكاسر الغريب، ولكنه هزمها في بادئ الأمر حيث إنه كان يمتاز بخواص غريبة، حيث ان كل قطرة دم منه كان يقطرها كانت تتحول إلى وحش آخر، او يخلق نفسه كما يقولون، استمرت المعركة كثيرًا من الوقت، كان ينتصر فيها الوحش فتعيد كالي الكرّة، فينتصر الوحش، إلى أن أفضت كالي إلى فكرة للانتصار عليه بدون إراقة قطرة دم واحدة لتمنعه من خلق نفسه، خلقت كالي رجلين، وخلقت سلاحًا اسمته "الرمال" وهو عبارة عن قطعة من القماش آخرها عملة معدنية، وأعطتها إلى الرجلين وأمرتهما بخنق الوحش كي لا تسيل الدماء، وبالفعل تمكّن الرجلان من خنقه في النهاية وإنقاذ الأرض.

وكمكافأة على فعلتهم قامت المعبودة كالي بمنحهم الرمال هدية لحمايتهم، وأوصت بتوريثه لبني جنسهم ليستخدموه في دحر أي مخالف أو غير مؤمن بعقيدتهم، ثم رحلت كالي.

كان هذا ملخّصًا للتاريخ الديني لتلك الطائفة والتي تسمّى الخنّاقين، وقد ظهرت وتوسعت في الهند منذ القرن السادس إلى القرن التاسع عشر، وكان زعيمهم هو ثوج بهرام.

عملت تلك الطائفة على مر التاريخ بقطع الطرق والقيام بخنق المسافرين عبر الهند بتلك الأداة.



على مدار قرون نشطت حركات تلك الطائفة وازداد عددها، وانضم لها الخارجون عن القانون حتى غير الهندوس، وكانوا مصدر قلق دائم لجميع سكان الهند، حيث إن تلك الطائفة كانت سرية جدًّا، وكانوا يتصيدون المسافرين كثيرًا، يسرقونهم ثم يقومون بخنقهم ومن ثم دفنهم، كانوا حذرين جدًّا، ولم يتم كشفهم مطلقًا وقتها بالرغم من محاولات بعض الحكام الهنود من محاولة كشفهم وتوقيفهم بلا جدوى، فقد كانت جرائمهم يتم كشفها بعد مرور وقت كبير فيصعب على رجال التحقيق البحث، وكانوا يتحركون في سرية تامة، ولأن الأمر نابع عن إيمان ديني فقد كانوا يحافظون على سرية تحركاتهم وهجماتهم، حتى وإن تم القبض على فرد أو اثنين كل حين، فلا يعترف بشيء تحت أقسى أنواع العذاب الجسدي والنفسي، حاولوا كثيرًا وفشلوا، شكّلت الطائفة رعبًا مهولًا لجميع المسافرين، خاصة المتنقلين بين الأقاليم والقرى؛ فقد كانوا صيدًا سهلًا لهم.



كانت خطط الهجوم الخاصة بالخنّاقين معقّدة جدًّا، حيث إنها تتم عن طريق خطوات مدروسة بعناية حتى لا يتم كشفهم أبدًا.

الخطوة الأولى هي جمع المعلومات، فقد كانوا يدفون أفرادًا من الطائفة بين الناس في الأسواق والفنادق والحمامات العمومية والشوارع وخلافه، يستمعون جيدًا إلى أخبار القوافل والمسافرين، ويجمعون المعلومات اللازمة عن كل فرد ينتوي السفر، الخنّاقون كانوا يفضّلون الأغنياء، ولذلك كان عليهم تحديد ماهية حياة كل فرد يتم تحديده واستخلاصه من بين القائمة التي يجمعونها في المرحلة الأولى، بعدها، يبدؤون في التنكر والانتشار لمعرفة كل شيء عن الضحية، كل تحركاته ومعارفه، كانوا يتنكرون في هيئة متشردين أو أصحاب عاهات أو متسولين أو حتى نزلاء في الفنادق أو تجّار، وكانت تلك هي المهمة الثانية وهي الاستقصاء التام عن الضحية حتى لا يقع خطأ يؤدي إلى يكشف أمرهم.

كانوا يسترقون السمع لكل شاردة وواردة بين القوافل والمسافرين حتى يتمكنون من تحديد القافلة الأسهل للسرقة، كل حرف هو مهم بالنسبة إليهم.

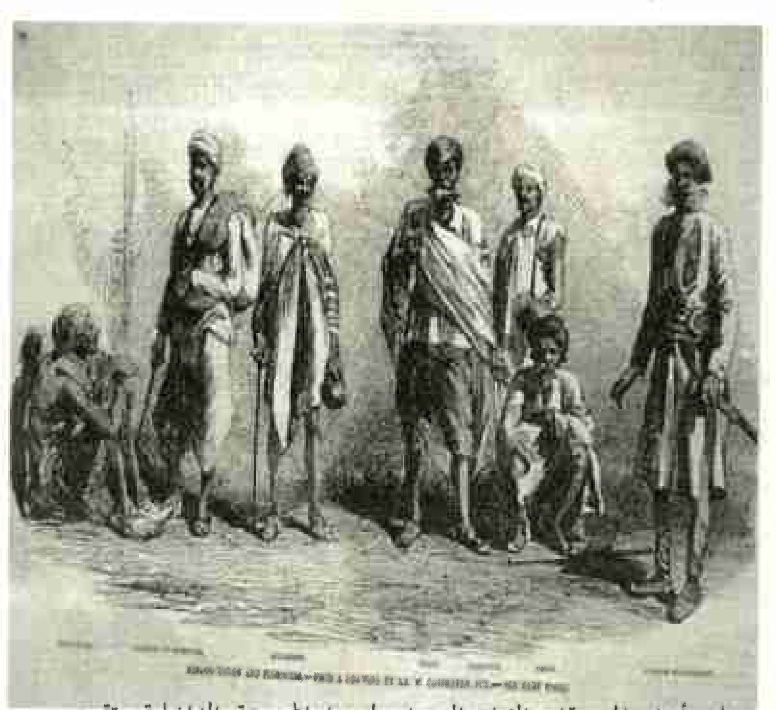
يستمعون إلى التجار، حراس القوافل والسائقين والدليل، ثم يقومون بتنقية القائمة شيئًا فشيئًا حتى يضعوا عينهم على قافلة بعينها.

حينها تبدأ المرحلة التالية، ألا وهي اختيار بعض الأفراد من الطائفة للاندساس داخل القافلة على أي هيئة كانت، تارة تجدهم بعض المسافرين، وتارة بعض الحجاج، وتارة تجّارًا، أو حتى من رجال الدولة وحاكميها،

حتى إنهم يصطحبون نساءهم وأطفالهم معهم لحبك القصة، ثم يقومون بالاختلاط مع المسافرين وتبادل الأحاديث بينهم وتكوين الصداقات حتى يثق المسافرين بتلك الفئة، ثم المرحلة التالية وهي بقية أفراد الطائفة، كانوا يرافقون القوافل، ولكن في سرية بدون أن يثيروا الريبة، من الخلف يقتفون آثارهم، كان الخنّاقون يحددون نقاطًا مهمة على الطريق يسمونها "بيلي"، وهي نقاط يحفظونها ويختارونها بعناية حيث كانت تمتلئ بالكهوف أو المنحدرات والسكك، وأماكن يستطيعون فيها تورية الجثث بعد قتلهم، وهي مناطق مقفرة خالية من البشر حتى يتسنى لهم التلذذ بالقتل، يختبئ فيها باقي أفراد الطائفة، هنا نحن نرى أنهم قد انقسموا إلى ثلاثة مجاميع، مندسين مع القافلة، ومراقبيها ومنتظريها.

حين تكتمل كل النقاط، ويأتي الليل بظلامه وهدوئه، تبعث المجموعة المنصهرة بداخل القافلة إشارة استعداد لباقي المجاميع وهي عن طريق غيمة صغيرة من الدخان يقومون بإطلاقها في الهواء لتراها المجموعتان، فيتداركوا ساعة الصفر ويستعدوا للاشتباك والهجوم.

حين يبعثون بالإشارة، تقوم المجموعة التي انضمت إلى القافلة بالتطبيل والغناء فجأة بأي حجة وبصوت عالٍ، ليشتتوا تركيزهم عمّا يدبّر لهم في الخفاء، وحتى يصرفونا عيونهم عمّا يحدث، حينها تتسلل المجموعة الثانية التي تتبعهم في الخلف إلى القافلة سرًّا، يطوقونهم من كل جانب ويسيرون معهم بتؤدة حتى لا يتركوا سبيلًا لهم إلى الهرب، ثم حين يصلون إلى النقطة بيلي، تنقض الثلاث مجموعات على المسافرين ليبدأ الهرج والمرج



على أنغام الموسيقا والغناء التي اصطنعتها المجموعة الداخلية، تقوم المجموعة الخلفية بمهاجمة شخص تلو الآخر بالرمّال، وهو كما قلنا عبارة عن خرقة صفراء بداخلها عملة، كانوا يخفونها بداخل طيّات ملابسهم جيدًا، ثم يقومون بإخراجها بخفة ويهاجمون المسافرين من الخلف، ويقومون بخنقهم ولا يتركونهم إلا جثثًا هامدة، واحدًا تلو الآخر حتى يقتلوهم عن بكرة أبيهم.

ثم بعد أن ينتهوا من الجميع، يقوموا بآخر مرحلة ألا وهي إخفاء الجثث، كانوا يخفونها بعناية بعيدًا عن طريق القوافل، ولهذا سببان، أولهما ألا يعثر عليهم أحد فيلاحقون من قبل السلطات، وثانيهما حتى لا يراها المسافرون فيخافون ويتراجعون فتفشل خططهم، وقد نجحوا في هذا أيما نجاح، بالرغم من حوادث القتل الكثيرة التي كان ينفذها الخنّاقون فقد كانت تحكمهم بعض اللوائح والقوانين في عمليات القتل، فهو لم يكن قتلًا عشوائيًّا للناس، إنما هو نابع من معتقد ديني متأصل بداخل كل فرد فيهم، فمثلًا حرّم عليهم المعتقد الديني قتل بعض الفئات من الناس كالعازفين والراقصين والمطربين والنجارين والعمال والكناسين والنساء بشكل عام، إلا أنهم لم يكونوا ملتزمين بالقوانين الدينية كثيرًا، فعلينا أن نعلم ان أفراد تلك الطائفة لم تكن من المتدينين المؤمنين بشكل عام، فغالبيتهم من المطاردين والمجرمين وأصحاب السوابق الإجرامية.



فمثلًا من عقائدهم ألا يقتلوا النساء، ولكنهم كانوا يقتلوهن بسلاسة حتى لا يخلّفون وراءهم شهودًا منهن، وكما نرى فالعقيدة الإجرامية هنا تختلف حين ترتبط بعقيدة دينية مؤصلة بداخل مؤمنيها، وشكلية المجرم هنا تختلف عن السفّاحين السابقين حيث إنهم يمارسون القتل المنظم تقربًا للإله؛ ولهذا نرى أن تحولهم إلى الجريمة كان بإرادتهم وباقتناعهم الشخصي، أما عن الأطفال الذين كانوا يرافقون القوافل التي يتم الاعتداء عليها، فكانت تخطفهم عصابة بهرام، ثم يقومون بضمّهم إلى بعض عائلات الخنّاقين ليتم تدريبهم على القتل منذ العاشرة وحتى الثامنة عشرة، يربونهم على العقيدة والقتل والسرقة منذ الصغر فتنغرس بداخلهم أفكار الخناقين، نوع من غسيل الدماغ الذي يمارسونه عليهم حتى يتحولوا تدريجيًّا إلى أفراد من تلك الطائفة.

هنا نحن نتحدث على طائفة من السفاحين وليس سفاحًا قاتلًا واحدًا كالبقية، يقودهم زعيم كبير يقوم بتوجيههم وإرشادهم إلى القتل، هنا الموضوع يختلف تمامًا، كان الخنّاقون عباقرة في طرق الإيقاع بالضحايا، وكانوا يبتكرون طرقًا جديدة في القتل كل مرّة.

فمثلًا كانوا يستخدمون الحسناوات من نسائهم في الإيقاع بضحية جديدة، حيث تتظاهر الأنثى بأنها تعرضت لحادث مثلًا على الطريق، أو أنها مصابة لأي سبب من الأسباب أو أنها ضائعة مثلًا، فيُهرع المسافر الضحية لنجدتها فتبدأ الفتاة في إشغاله بالكلام وبمفاتنها، حتى إذا رأت من الضحية غفلة أخرجت منديلها ذا العملة في بغتة لتحيط برقبة الضحية في ثانية

وتقوم بخنقه، ويُهرع باقي أفراد الطائفة ممن صحبها في الإجهاز عليه ثم يوارون جثته كالعادة.

ما بين عامي 1820م 1830م، كانت الهند تحت الاحتلال البريطاني وقتها، وكان الخناقون يسببون صداعًا بالرأس البريطاني، ويؤثرون في الوجود البريطاني في الهند، وكما نعلم فالمصالح البريطانية كانت أهم من أي شيء، وعليه، قامت السلطات البريطانية بتعيين ضابط إنجليزي يشهد له بالكفاءة والدهاء اسمه "وليم سالمان" وأمروه بأن يُنهي وجود الخنّاقين وأن يباشر التحقيقات ويكشفهم.

كان الضابط وليام ذكيا مبتكرًا، أخذ الضابط وليام الأمر على محمل الجد ودرس الأمر جيدًا، ومع دراسته للأمر تعرّف على أكثر الحيل التي يستخدمونها للإيقاع بالضحايا، وقرر أن يتبع نفس أسلوبهم.

وفي تلك الأعوام، كان وليام يتنكر في صورة تاجر، وجمع أكبر عدد من رجال الشرطة وأمرهم بالتنكر في صورة تجار هم أيضًا، وبالفعل كوّن قافلة تجارية وهمية كاملة من رجال الشرطة المتنكرين، كما استعان بالنساء و الأطفال لإيهامهم بأنها قافلة حقيقية، ثم إنه قلل من عدد الحرّاس حتى يغريهم للهجوم، وانطلق في ذاك الطريق المعتاد للتجارة، ووقعت العصابة في الفخ، هاجموهم عند النقطة التي يتفقون عليها، ولكن كانت المفاجأة حين بدؤوا الهجوم، أخرج الضباط الأسلحة وتبادلوا إطلاق النار، وكان عدد رجال الشرطة يفوق عدد أفراد العصابة، فقتلوا منهم الكثيرين واعتقلوا الباقي منهم.

لم يكن يدرك وليام سالمان أن الخنّاقين حين يقعون سيعترفون بأكبر أعداد من الجرائم التي يذهل لها المرء لسماعها، فلم يكن يدرك الحجم الفعلي لجرائمهم التي تعدت قتل مليون إنسان، حين قبض علي بعض منهم واخذ منهم الاعترافات، وتساقط أعضاء الطائفة واحدًا تلو الآخر، توالت الاعترافات، على سبيل المثال، خلية ممن قبض عليهم اعترفت بقتل **5200** ضحية كاملين، وهو رقم ضخم، وزعيم أحد الطوائف اعترف بقتل **931** ضحية بنفسه على مدار **40** عامًا.

بحلول عام **1870**م انتهى الخناقون للأبد، اختفوا من الساحة بعد قتل أفراد طائفتهم وإعدامهم جميعًا، ولم تتهاون بريطانيا في مطاردهم وعقابهم أبدًا، وكل من يشك في انتمائه لتلك الطائفة.

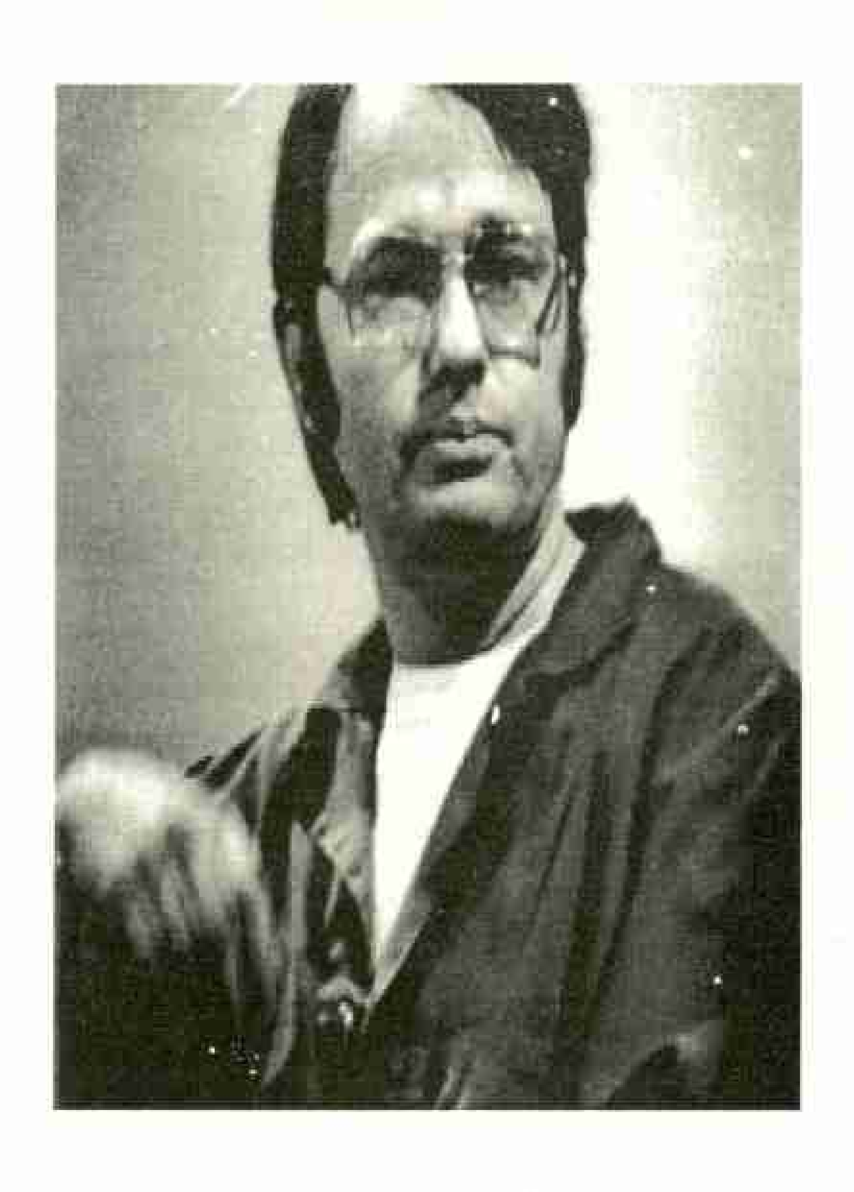
يقال إن بريطانيا أخذت ذلك ذريعة وسببًا للانتقام من المعارضة والتخلص منهم، وانها قتلت عائلات كاملة لا ذنب لها، ولكن يظل برهام وطائفته الأكثر دموية في تاريخ القتل والدم.

هنا، رأينا حين يرتبط القتل بالإيمان الداخلي بواجب الفتل، وكيف يتحول الطفل الصغير البريء إلى قاتل بالتوجيه وغسل الدماغ، فيقتل ويظن أنه بهذا يرضي نفسه ودينه، ولهذا يموت الضمير ويصير القتل واجبًا محببًا للنفس، فيختفي الضمير بل، يتم تقنينه تجاه القتل.

واعترف بهرام أنه قتل **931** إنسانًا، وشرب من دمائهم بين **1790**م و**1840**م بنفسه، ليظل هو الأكثر دموية بين القاتلين.

كـاميرون هـوكـر







القاتل اليوم من نوع آخر، هو قاتل مترصّد، لا يقتل بالطرق العادية التي نعرفها جميعًا، بل كان يقوم بالتعذيب والإنهاك حتى تُقتل الضحية من تلقاء نفسها، وفي تلك القصة سنتناول جانبًا جديدًا وهو نفسية الضحية نفسها وعلاقتها بالقاتل أو المجرم، وهي قصة لم تتكرر في التاريخ وبها الكثير من الغرابة والعقد النفسية التي قد تندهش لقراءتها، حسنًا، كل شيء بدأ في صباح يوم جميل من شهر مايو عام **1977** كولين ستان، ذات العشرين عامًا..

كانت جالسة بأمان في منزلها ببلدة يوجين بولاية أوريجون عندما رن الهاتف فجأة، على الخط أتى صوت صديقة قديمة تعيش في مدينة إيستوود بولاية كاليفورنيا. بعد التحية أخبرتها تلك الصديقة بأن عيد ميلادها سيصادف غدًا، وبأنها ستقيم حفلة، وتود لو تكون كولين حاضرة، لكنها تعلم بأن ذلك شبه مستحيل لبُعد المسافة.

هذا كل ما في الأمر، مكالمة سريعة من صديقة قديمة كان يمكن أن تنتهي بعبارات مجاملة مختصرة. لكن الأمر لم يجرِ على هذا النحو للأسف، فما إن وضعت كولين السماعة حتى برقت فكرة مجنونة في ذهنها:

ماذا لو ذهبت إلى منزل صديقتها وفاجأتها بحضورها.. كم سيكون ذلك جميلا؟!

بالفعل كان سيكون جميلًا.. لو لم تكن المسافة التي تفصل بين منزلي الصديقتين هي أكثر من أربعمائة ميل، ولو لم تكن كولين عاطلة عن العمل ولا تملك بنسًا واحدًا في جيبها. لكن ذلك لم يردعها، فهي تعلم بأن هناك طرقًا أخرى للسفر من دون الحاجة لابتياع تذكرة، كالوقوف على قارعة الطريق والحصول على توصيلة مجانية من سائقي الشاحنات والسيارات الصغيرة المارة.

السبعينيات.. عقد الجنون ! حيث البيتلز وموسيقا الروك و بزوغ عصر الرقص والدادي كول والشعور واللحى والخمر في كل مكان..

طريقة سهلة للسفر، لكنها محفوفة بالمخاطر، وهي تعلم ذلك جيدًا، فقد قرأت وسمعت عن حوادث مروعة تعرض لها بعض أولئك المسافرين بالمجان من اغتصاب وقتل.. ومع هذا قررت أن تقامر. ولم يكن قرارها هذا غريبًا لو تذكرنا بأننا هنا نتكلم عن سبعينيات القرن الماضي، وأظن من عاشوا تلك الحقبة يعلمون جيدًا كم كانت مجنونة ومتطرفة في كل شيء.. نمط الحياة والزي والهندام والموسيقا والغناء إلخ.. كانت حقبة تمرد فيها الشباب على كل شيء، أرادوا التحرر مما اعتبروه قيمًا عفا عليها الزمان. كانت الطرقات تغص بالـ " هيبيين " بشعورهم وذقونهم الطويلة وملابسهم المبهرجة وموسيقاهم الحالمة، كانوا مسافرين من دون هدف، يتعلقون بالسيارات ويخيمون في أي مكان، يتعاطون المخدرات والجنس بلا وازع.

كولين ستان كانت شابة بعقلية تلك الحقبة، ولم يكن لديها شيء ليبقيها في المنزل، كانت قد وُلدت في كاليفورنيا، تطلق والديها في سن مبكرة ،وعاش كل منهما في منزل منفصل بنفس الحي. لم تكمل دراستها الثانوية وتزوجت في السابعة عشرة بشاب يكبرها بخمسة أعوام، لكنهما لم يعيشا معًا لفترة طويلة، وسرعان ما افترقا، فذهبت لتعيش مع بعض الأصدقاء في بلدة يوجين. كانت تحب المغامرة والسفر، ولم تكن تلك المرة الأولى التي تقف فيها على قارعة طريق وتسافر بصحبة سائقين غرباء، وقد حسبت نفسها من أصحاب الخبرة بالسفر الجوال، فكانت لا تركب إلا مع من تشعر بأنه يمكن الوثوق به، وبأنه لن يطمع بشابة جميلة مثلها. لكنها ما علمت بأن المظاهر كثيرًا ما تكون خادعة، وأن الذئاب البشرية تجيد التخفي بزي الحملان.

وقفت على جانب الطريق من أجل توصيلة..

هكذا تركت فتاتنا المنزل وهي لا تحمل معها سوى حقيبة صغيرة فيها بعض الملابس وكيس نوم. وقفت على جانب طريق خارجي يقطع ضواحي البلدة، وراحت تتأمل المركبات الغادية والرائحة وتدقق في الوجوه جيدًا، تستمع لنبض قلبها وتعتمد على فراستها ونباهتها لتحدد من يمكن الصعود معه ومن يجب تجنبه، وقد صدق حدسها مرتين، مرة مع سائق شاحنة عجوز أوصلها إلى نصف المسافة واشترى لها وجبة عشاء على حسابه، ومرة أخرى مع امرأة تسافر لوحدها في شاحنة صغيرة قطعت معها ربع المسافة حتى لم يعد يفصلها عن هدفها سوى أقل من مئة ميل. لم تكن الآن

بحاجة سوى لتوصيلة واحدة فقط وتكون عند باب صديقتها. فوقفت من جديد على حافة الطريق ترقب المركبات المارة وتتأمل الوجوه، ولم يطل الوقت حتى توقف لها سائق شاحنة كبيرة، لكنها رفضت الصعود، لم ترتح للسائق، ثم توقف لها رجل أنيق يقود سيارة حديثة لكنها أبت أن تصعد أيضًا، لم تعجبها نظراته فتراجعت مبتعدة. أخيرًا توقف لها باص صغير – ميكروباص – يقوده شاب ذو ملامح هادئة وإلى جواره تجلس شابة جميلة تحمل طفلًا، لم تتردد كولين بالصعود هذه المرة، بالطبع لم يكن لرجل يقود برفقة امرأة وطفل أن يؤذيها.

ظنت بأنها محظوظة..

السائق قدم نفسه على أنه كاميرون هوكر، **23** عامًا، والشابة إلى جواره هي زوجته جانيس، **19** عامًا، أما الطفل فهو ابنهما الرضيع ذو السبعة أشهر. الزوجان تبادلا حديثًا وديًّا مع كولين التي شعرت لوهلة بأنها محظوظة جدًّا لحصولها على توصيلة من قبل هكذا أسرة لطيفة، لكن لم يطل الوقت حتى تبدد ذلك الشعور وحل محله إحساس ثقيل بعدم الارتياح، فقد لاحظت بأن كاميرون يحدق إليها بغرابة ويتفحصها بدقة بواسطة مرآة السائق، لكنها لم تقل شيئًا، ولم تستشعر خطرًا لوجود جانيس والطفل في السيارة.

بعد أن قطعوا بضعة أميال توقف كاميرون عند محطة وقود وانشغل بملء الخزان بينما ذهبت جانيس إلى المتجر المرفق بالمحطة وتوجهت كولين إلى الحمام، كان ذلك الإحساس بعدم الراحة ما يزال ملازمًا لها، وكان

هناك صوت داخلي يرن في رأسها ويدعوها بأن تترك تلك التوصيلة وأن تخرج الآن فورًا من الباب الخلفي للمحطة ولا تنظر إلى الوراء أبدًا.. ليتها استمعت إلى ذلك الصوت أو الهاجس الداخلي، لكنها لم تفعل للأسف.

حين عادت كولين إلى السيارة قدمت لها جانيس قطعة حلوى كانت قد اشترتها للتو من المتجر، فشكرتها كولين بابتسامة عريضة، لكنها من الداخل لم تكن مرتاحة للنظرة التي رمقتها بها جانيس. كان القلق والخوف قد استبدَّ بها الآن، وودت لو تستطيع مغادرة السيارة، لكن فات الأوان، فكاميرون انتهى من ملء خزانه بالوقود، وسرعان ما أخذ مكانه خلف المقود ثم انطلق بالسيارة لا يلوي على شيء.

لم يتحدث أحد هذه المرة، عمَّ سكون ثقيل، ومن حين لآخر كان كاميرون وجانيس يتبادلان نظرات مريبة كأنهما يتفاهمان بصمت حول شيء ما. كم ودت كولين لو تعرف ماذا يجول في رأسيهما، لكنهما لم يتكلما قط، ولم ينقطع حبل ذلك الصمت المقلق حتى خاطبها كاميرون فجأة قائلًا إن هناك كهفًا ثلجيًا قريبًا يودان زيارته، وبأنهما لن يتأخرا عنده كثيرًا، فوافقت كولين بأن ترافقهما على مضض، وهل كانت تملك خيارًا آخر؟ وانعطف كاميرون بالسيارة إلى طريق فرعي ترابي سار فيه نحوا عشر دقائق حتى لم يعد بالإمكان رؤية الطريق العام وراءهم، ثم أوقف السيارة، ولشدة دهشة كولين فقد رأت جانيس تقفز من السيارة وهي تحتضن طفلها ثم تجري لمسافة، وتتوقف بعيدًا كأنها تتوقع حدوث شيء خطير. وبأسرع من لمح البصر شاهدت سكينا كبيرة توضع على عنقها وسمعت

كاميرون يخاطبها مهددًا: "إياك أن تنبسي بكلمة، وإلا ذبحتك ودفنتك هنا.. تصرفي بهدوء، ولن يصيبك مكروه".

بدأت كولين تبكي كطفلة، توسلت إليه أن لا يؤذيها، فطمأنها بأنه لن يفعل ما دامت تطيعه، فاستسلمت له أملًا بالنجاة، وأخرج هو حبلًا قيَّد به يديها ورجليها ثم ذهب إلى مؤخرة السيارة وعاد بصندوق خشبي مكعب الشكل في أسفله ثقب تلوح منه لفائف كالأحشاء، قام بحشر رأسها داخل ذلك الصندوق، فأظلمت الدنيا في عينها، وأحست بضيق شديد، ثم سمعت الباب الأمامي وهو يفتح ويغلق فعلمت بأن جانيس صعدت إلى السيارة التي لم تلبث أن انطلقت نحو قدرها..

لا تنسوا أننا نتحدث عن عام **1977**..



كاميرون هوكر وُلد بمدينة ريد بلوف في كاليفورنيا، عمل في مصنع محلي للأخشاب بعد أن أتم دراسته الثانوية. كان طويل القامة ذا بنية قوية وشخصية انطوائية. تعرف عام 1972 إلى فتاة مراهقة في الخامسة عشرة من عمرها تدعى جانيس، كانت مصابة بالصرع، وقد أثر ذلك في شخصيتها ونفسيتها ونظرتها للآخرين، رأت في كاميرون فارس أحلامها، وكانت مستعدة لفعل أي شيء من أجله، وقد استغلّ هو هذه النقطة أبشع استغلال. كان مدمنًا على المجلات الإباحية، منحرفًا ذا رغبات سادية مريضة. عمل على إخضاع جانيس لرغباته منذ أول لقاء، أقنعها بأن يقوم بتقييدها بالحبال ثم قام بربطها إلى شجرة ومارس الجنس معها على تلك الحالة. وسرعان ما أصبح هذا النوع من الجنس المنحرف طابعًا مميزًا لعلاقتهما. ولأنه أرادها تحت تصرفه طوال الوقت فقد تزوجها رسميًّا وانتقلت للعيش معه في منزل مستأجر. وقد شرع بالحال في غسل دماغها، وأوهمها بالكثير من الترهات عن نفسه، ولأنها كانت من النوع الضعيف المهزوز فلم يطل الوقت حتى استسلمت له تمامًا، وهناك في قبو المنزل راح يَعلقها بالحبال ويضربها بالسياط وينتهك جسدها بألعاب وأدوات جنسية غريبة، ولم تكن هي تمانع رغم اشمئزازها وألمها، كانت تريد إرضاءه مع أنها لم تفهم يومًا ما اللذة من كل هذا! لكنها طالبته بالتوقف بعد أن أنجبت منه طفلًا، قالت بأنها تعبت وتريد قضاء الوقت بالعناية بطفلها بدلًا من إشباع نزواته السادية، لكنه لم يوافق على طلبها إلا بحالة واحدة، وهي أن يجد بديلًا لها، فرفضت هي الفكرة بشدة في بادئ الأمر، لكنه كان بارعًا في إقناعها واللعب بأفكارها ومشاعرها، قال بأنه يفعل ذلك من أجلها لا من

أجله، وبأن الفتاة البديلة ستكون بمصاف العبيد، وأقسم بأنه لن يمارس الجنس معها أبدًا، وإنما سيستعملها فقط لتفريغ رغباته السادية.

وهكذا اتفق الزوجان على أن يقوما بخطف فتاة لتكون عبدة * أو جارية لكاميرون. وكانت الضحية الأولى فتاة تدعى "ماريا سباهيك" التقطاها من على ناصية شارع مظلم بحجة إيصالها، لكنها انتهت إلى قبو منزلهما. هناك تعرضت للجلد والضرب المبرح لعدة أيام، ويبدو أن كاميرون قد أفرط في تعذيبها ففارقت الحياة، وقاما برمي جثتها في بقعة صحراوية نائية.

أما الضحية الثانية فكانت بطلة قصتنا.. كولين ستان.

الزوجان توقفا لقرابة الساعة عند مطعم، تناولا غداءهما بهدوء بينما كانت كولين تقبع في مؤخرة السيارة يحيط برأسها مكعب خشبي ثقيل ووساوس وهواجس لا أول لها ولا أخر. حين انتهى الزوجان من طعامهما عادا إلى السيارة وانطلقا بها، وبعد حوالي نصف ساعة توقفت السيارة مجددًا. كولين سمعت صوت خاطفها وهو يخاطبها محذرًا: "لا تنبسي بكلمة "، ثم قام بإنزالها من السيارة، وسار بها لمسافة قصيرة قبل أن يتوقف ويقوم برفع ذلك المكعب البغيض عن رأسها، فأحست براحة كبيرة ونظرت حولها، فرأت نفسها تقف داخل حجرة صغيرة فيها بعض الأثاث البسيط المتواضع، وكان كاميرون يقف قبالتها، لكنها لم ترَ جانيس ولا الطفل.

كولين بكت وتوسلت، طلبت منه أن يطلق سراحها، لكنه لم يرد عليها، أمسك بيدها وأخذها نحو باب جانبي ونزل بها بضع درجات إلى

قبو بارد كئيب، هناك رأت كولين حبالًا تتدلى من السقف، وقيودًا وسياطًا وأقنعة وألعابا جنسية متناثرة هنا وهناك. وفي الوسط توجد طاولة ذات عجلات أمرها أن تصعد فوقها، ولما استوت عليها راح يربط معصميها إلى بعض الحبال المتدلية من السقف، ثم نزع عنها ملابسها فأصبحت عارية تمامًا، ووضع عصابة سوداء على عينيها. وحين انتهى من كل ذلك شد الحبال إلى الأعلى ثم قام بدفع الطاولة التي تحت قدميها بعيدًا فغدت معلقة في الهواء ترفس بقدميها وأحست فورًا بألم فظيع في ذراعيها، وأخذت تصرخ طلبًا للرحمة والنجدة، فسمعت كاميرون يقول لها بعصبية: "اصرخي.. هيا اصرخي كما تشائين.. هيا ادفعيني لكي أذبحك بالسكين كما فعلت مع آخر ضحية أثارت جلبة في القبو" .

حين سمعت ذلك تملكها رعب شديد، فحاولت قدر الإمكان أن تكتم آهاتها، لكنها ما كادت تغلق فمها حتى أحست بشيء حاد كالسكين يلسع جلدها، ومع كل لسعة كانت تشعر كأن نارًا تشب تحت جلدها، فراحت تصرخ وتتلوى من جديد، ولم تكن العصابة على عينيها مشدودة بإحكام، فاختلست النظر عبر فسحة في أسفلها وشاهدت شيئًا كالسلك أسود يتردد تحت قدميها، فعلمت أنه يجلدها بالسوط، وكان الألم ممضًا.

قام بتعليقها وجلدها..

استمر كاميرون بجلدها لعدة دقائق ثم توقف، وسمعت خطواته تبتعد كأنه يغادر القبو، فاختلست النظر من العصابة ولمحت تحت قدميها مجلة إباحية مفتوحة على صفحة فيها صورة لامرأة عارية معلقة بالسقف وهي

تتعرض للجلد، فعلمت بأنه يطبق عليها ما يراه في المجلة، ولم يطل الوقت حتى سمعته يعود مجددًا، لكنه لم يكن وحده هذه المرة، كانت هناك ضحكات نسائية مكتومة، ثم آهات وهنات مشحونة بالنشوة واللذة، فاختلست النظر مجددًا، وهالها ما شاهدته، كان كاميرون وجانيس يتمددان على الأرض تحت قدميها مباشرة وهما عرايا يمارسان الجنس! .

رباه ما بال هؤلاء القوم؟ هل هما مجنونان؟ لماذا يفعلان بي هذا؟ وما الذي فعلته أنا لأستحق كل هذا؟ تساءلت كولين مع نفسها وهي تغالب دموعها وألمها.

ولم يطل الوقت حتى غادرت جانيس القبو فأرخى كاميرون الحبال رويدًا رويدًا حتى لامست قدماها الأرض، ثم فكَّ قيودها ونزع العصابة عن عينيها، فراحت كولين المسكينة تتحسس جسدها وهي تدب الأرض بقدمها من فرط الألم كلما مررت أصابعها على الندوب الملتهبة التي خلفها السوط على جلدها الناعم. ومن جديد توسلت إلى خاطفها أن يطلق سراحها، وعدته بأن لا تخبر أحدًا بما جرى لها، وأقسمت بأنها لن تذهب للشرطة، وستنسى كل ما حصل كأنه لم يكن.

لكن إطلاق سراحها كان آخر شيء يفكر فيه كاميرون، كانت صيده الثمين، الجارية التي طالما حلم بامتلاكها، فأخذها ودفعها عنوة إلى داخل صندوق خشبي مستطيل الشكل، كان أشد ضيقًا من التابوت، لا يتيح لها تحريك جسدها، وليته اكتفى بذلك! بل أتى بذلك المكعب اللعين ذا اللفائف ووضعه على رأسها مجددًا، فشعرت بضيق شديد، وراحت تبكي وتصرخ طلبًا للنجدة، فأتى بقيد ثقيل ووضعه على صدرها؛ لكي يكتم

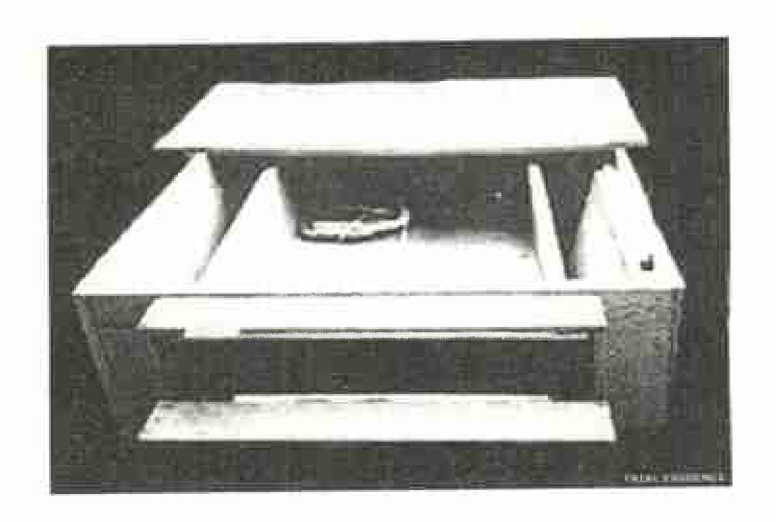
أنفاسها تمامًا ويُسكت صراخها، وعلى هذه الحالة تركها وحيدة، لا لساعة ولا لساعتين، بل لقرابة يوم كامل لم تذق المسكينة خلاله طعم النوم ولا عرفت السكينة.

ترى هل ستعيش؟؟

ولكن بعد **20** ساعة متواصلة من الحبس داخل الصندوق وجد كاميرون ما لا تُحمد عقباه.

حين فتح كاميرون الصندوق مجددًا بعد أكثر من عشرين ساعة لم يكن متأكدًا بأنه سيعثر على كولين حية، ولشدة دهشته كانت ما تزال تتنفس، والعجيب أنه حين أبعد ذلك المكعب اللعين عن رأسها لم تصرخ ولا حتى بكت، كانت في الحقيقة قد استنفدت كل ما لديها من آهات ودموع خلال الساعات التي قضتها وحيدة داخل ذلك الصندوق، كانت منهكة ومستنزفة تمامًا.

أخرجها من الصندوق وهي بصعوبةٍ تستطيع الوقوف، سقاها بعض الماء، وأطعمها القليل من البطاطا المهروسة ثم علقها بالحبال من جديد وشرع يجلدها بالسوط، عذبها لقرابة الساعة، وحين انتهى من إفراغ مكنونات رأسه المريض على جسدها أرخى الحبال وأنزلها ثم أعادها إلى التابوت كأنه يعيد لعبة إلى علبتها وغادر القبو.



بالتدريج أصبح ذلك هو الروتين اليومي لحياة كولين، تقبع في التابوت لأكثر من عشرين ساعة يوميًّا ثم يخرجها لفترة قصيرة لكي تقضي حاجتها وتتناول بعض الطعام وتتعرض للتعذيب.

ولم يكن ما يفعله معها اعتباطيًّا كما قد تظن عزيزي القارئ، بل كان قد خطط لكل هذا جيدًا، أراد أن يروضها، أن يدمر خلايا دماغها، أن يمسح ذاكرتها، أن لا يبقى في ذهنها شيء سواه، وأن يكون سخطه ورضاه هو محور حياتها.

بعد شهر على هذا الروتين الفظيع سمح لها بالاستحمام للمرة الأولى، ووضعها في صندوق أكبر قليلًا، وصار يبقيها خارجه لفترة أطول، وكذلك راح يعذبها أكثر، صار يخترع أنواعًا جديدة من التعذيب ليصبها عليها، يكوي جلدها بأسياخ حارة، يصعقها بالكهرباء، ويبقي رأسها تحت الماء حتى تكاد تلفظ أنفاسها.

كل يوم كان يكتشف طريقة جديدة لتعذيبها، وكل يوم تكتشف هي طريقة جديدة للتعامل مع جنونه، فلقد تعلمت بأن تطيعه في كل ما يريد ولا تجادله قط، وتعلمت أن بكاءها وتوسلها يستفز ميوله السادية فيجعله يتمادى في تعذيبها، فأصبحت أكثر تحكمًا بمشاعرها، تحاول قدر الإمكان أن لا تظهر على وجهها أي انطباعات.

وكان كاميرون حتى ذلك الوقت ملتزمًا بالعهد الذي قطعه لزوجته بأن لا يمارس الجنس معها، لكنه على ما يبدو لم يعد قادرًا على تحمل رؤية جسدها العاري أمامه كل يوم من دون أن يبلغ منها حاجته، فصار يجبرها بالتدريج على أمور ذات طابع جنسي، واعترضت جانيس على ذلك في بادئ الأمر، إلا أنها علمت بالنهاية أنها لا تستطيع منعه فسلمت للأمر الواقع على مضض، وبدأ هو يغتصب كولين، صار ذلك جزءاً من عذابها اليومي. وأصبح يأخذها أحيانًا إلى حجرة نومه ليمارس الجنس معها فوق فراش الزوجية، كان يجد متعة كبرى بالأذى النفسي الذي يلحق جانيس جراء ذلك..

بعد شهور على اختطاف كولين، وبعد أن استسلمت لمصيرها تمامًا وصارت كالعجينة في يده يشكلها كيفما يشاء، أتى كاميرون ذات يوم وهو يحمل بيده ورقة قدمها لكولين وطلب منها قراءتها، كانت الورقة عبارة عن عقد، كأي عقد لشراء سيارة أو منزل، وقد نصَّ هذا العقد على أن كولين هي ملك صرف لكاميرون، يفعل بها ما يشاء وليس لها أن تعترض أو تجادل، هي جارية عنده، يمتلك روحها وجسدها، وله الحق في

أن يبيعها أو يؤجرها للآخرين أو أن يستفيد ماديًا من تشغيلها في أي وظيفة أو عمل يَرْتَئيه.

كان العقد صادرًا عن شركة تدعى "شركة العبيد"، قال كاميرون إنها شركة ضخمة ومتنفذة جدًّا تعمل بالسر على إدارة العبيد داخل الولايات المتحدة الأمريكية، وبأنه اشترى منهم هذا العقد مقابل **1500** دولار، وأن العبيد الذين يخضعون لعقود الشركة يصبحون تحت مراقبة مستمرة وعلى مدار الساعة من قبل عملاء وجواسيس الشركة، وأنه في حال حاول أيٌّ منهم الهرب أو عدم إطاعة أوامر أسياده فإن الشركة ستأخذهم وتسلمهم لأشخاص في منتهى القسوة يقتلونه بأبشع صورة، وقد لا يكتفون بقتل العبد، بل قد يقتلون جميع أفراد عائلته معه.

وبحسب هذا العقد الغريب فإن كولين أصبحت تدعى من الآن فصاعدًا العبدة "كاي"، ولا يحق لها أن تخاطب كاميرون إلا بعبارة "سيدي". وقد أوهمها بأن جانيس هي الأخرى عبدة لديه وأنها وقعت عقدًا مماثلًا معه قبل سنوات.

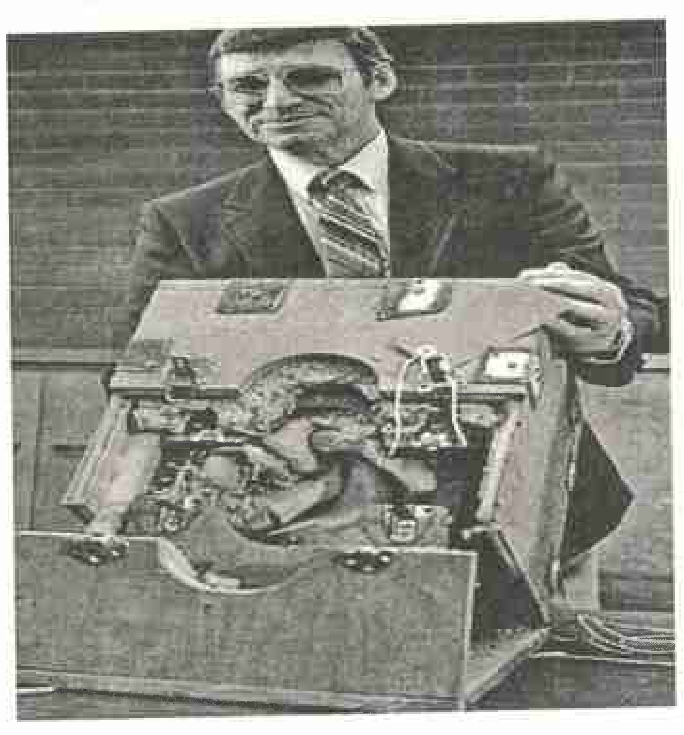
كاميرون طلب من كولين أن توقع العقد ففعلت، وقد سألها أحد الصحفيين بعد سنوات عن كيفية توقيعها على هكذا ترهات وكيف صدقت بأن هناك فعلًا شركة لإدارة العبيد ومصادقة عقودهم؟ فأجابت بأنها لم تكن تمتلك الإرادة وحق الاختيار لكي ترفض التوقيع، فإمضاؤها على العقد كان تحصيل حاصل، أما كيف صدقت بوجود "الشركة" فكان بسبب خضوعها التام عقليًا وجسديًا لكاميرون، لقد نجح في غسل دماغها

عبر شهور من التعذيب والحبس المطول في ذلك الصندوق المظلم. لقد آمنت من كل قلبها بوجود "الشركة" وصارت تخشاها أكثر من كاميرون نفسه، لا بل إن كاميرون أصبح بنظرها منقذاً ومخلصًا ورجلًا في منتهى الطيبة قياسًا بما ستفعله بها الشركة فيما لو خالفت نصوص العقد أو حاولت يومًا الهرب، ولهذا حرصت من ذلك الحين فصاعدًا على إطاعة أوامره ونيل رضاه. وقام هو بوضع طوق في عنقها، كأطواق الكلاب، مكتوب عليها اسمها كجارية "كاي" وأعطاها بطاقة تعريف أوهمها بأنها صادرة عن "الشركة" تثبت بأنها مملوكة بالكامل لكاميرون..

ومرت الأيام مسرعة، وما أسرع مرورها حين تغدو الحياة بلا طعم أو معنى فتصبح الأيام متشابهة! لا فرق ما بين الغد والأمس ولا الإثنين والخميس. وحلت ليلة رأس السنة، عيد الميلاد ذاك كان الأكثر حزنًا في حياة كولين، قضته وحيدة في ظلام دامس وصمت مطبق داخل ذلك التابوت اللعين. تذكرت عائلتها، أمها وأباها وشقيقاتها، ترى، هل يفكرون فيها؟ هل يسألون ويبحثون عنها؟ كانت دموعها تنساب حارة على وجنتيها الذابلتين، ولم يكن عقلها يخلو من تشويش، فقد ضاع عليها تسلسل الأحداث، تحاول عبثًا أن تتذكر ما الذي حل بها، وتسأل نفسها بحيرة: "ماذا أفعل هنا؟ آخر ما تذكره هو أنها كانت في طريقها إلى حفلة عيد ميلاد، فكيف بحق السماء انتهت إلى هذا المكان البشع المظلم؟!

وانقضت سنة وكل شيء على حاله، كولين تكيفت مع حياتها، انعدم إحساسها بالوقت، وما عادت السياط تؤلمها. ولم يعد أحد أيضًا يتذكرها،

أصدقاؤها قلقوا عليها بعد أن غابت لعدة أيام، اتصلوا بصديقتها في إيستوود فأخبرتهم بأنها لم تصل عندها، اتصلوا بعائلتها ولم يكن لديهم خبر منها، فاتصلوا بالشرطة، ولم يكن لدى الشرطة جواب حول مصير الفتاة، ظن المحققون أنها ربما قُتلت على يد سائق شاحنة مخمور أو لعلها انضمت إلى طائفة دينية سرية. وبمرور الوقت نسيها الجميع، ظنوا أن موتها محقق، الوحيدة التي لم تتوقف عن السؤال هي أمها، كل أسبوع كانت تذهب لمكتب "الشريف" لعلها تجد خبرًا، لكن دون جدوى..



في عام 1978 أنتقل كاميرون مع جانيس للعيش في مترل متحرك، هناك قام بتصميم سجن جديد لكولين، هذه المرة صنع صندوقًا خشبيًا أدغمه في قاعدة سرير نومه. كانت كولين تقضي قرابة 23 ساعة يوميًا في ذلك الصندوق وفوقها مباشرة يتمدد كل من كاميرون وجانيس على حشية مائية **، كانت تسمع كل سكناهما وحركاهما، وكانت هناك في الأسفل عندما ولدت جانيس طفلها الثاني فوق ذلك السرير.

التابوت الجديد كان أوسع قليلًا من سابقه، لكنه يغدو حارًا خانقًا في فصل الصيف. ولم تكن كولين تتناول غير وجبة واحدة في اليوم هي عبارة عن فضلات الطعام، وكانت تقضي حاجتها في نونية، ولم تكن تخرج من زنزانتها الخشبية إلا عندما يريد كولين تعذيبها أو اغتصابها. كان وجودها أسفل سريره يدغدغ مشاعره السادية، يجعله يشعر كالملك، فهناك امرأتان خاضعتان له تمامًا، واحدة تحت السرير والأخرى فوقه!

وعلى هذه الحالة المزرية مرت سنتان أخريان فقدت كولين خلالهما ثلث وزنها وتساقط شعرها. لكن في عام 1980، أي بعد ثلاث سنوات على واقعة اختطافها، بدأ كاميرون يخفف قيوده عليها قليلًا، ربما شعر بأنها أصبحت مروضة تمامًا. فصار بإمكانها البقاء لفترة أطول خارج السرير؛ وأصبحت تطبخ وتنظف وتعتني بأطفال جانيس

ولكي يتأكد كاميرون من أنها مسلوبة الإرادة بالكامل فقد قام بامتحانها، سمح لها بالخروج إلى باحة المترل لتنظيفه وراح يراقبها من بعيد، كان بإمكانها ترك المترل والخروج إلى الشارع بسهولة، كان بإمكانها أن

تصرخ وتطلب النجدة، لكنها لم تحاول فعل أيٍّ من ذلك ولم تفكر مطلقًا بالهرب، كان رعب "الشركة" مسيطرًا على عقلها وحواسها، فزاد سرور كاميرون لهذه النتيجة، وصار يسمح لها بالبقاء خارج التابوت فأصبحت تنام تحت السلم.

الجيران بدؤوا يعتادون على رؤية كولين، كثيرًا ما كانوا يتبادلون التحية معها عبر السور الخشبي وهي تنظف باحة المترل، ولم يَرْتَب أحد منهم بأي شيء غير طبيعي، ظنوا بأنها مربية أطفال جانيس. وقد بلغت ثقة كاميرون بسيطرته على كولين حدًّا جعله يسمح لها بالمشي في الشارع، كانت تذهب في جولات خارج المترل، وفي كل مرة كانت تعود. لا بل أصبحت تذهب أحيانًا إلى الحانة برفقة جانيس.

هذه الحرية الزائدة لم تعفِ كولين طبعا من التعذيب، كان كاميرون يأخذها إلى القبو يوميًّا، وحين تخطئ في أمر ما كان يعاقبها بالصعق بالكهرباء، وقد يضربها أو يشتمها أو يبصق عليها أو يجعلها تنام على بلاط الحمام البارد، وكان قد علمها بأنه لا يحق لها الكلام قبل أن تستأذنه باعتباره سيدها، فكان عليها أن ترفع يدها إذا ما أرادت قول شيء، وويل لها لو فتحت فمها من دون استئذان.

وكان عليها الاعتناء بأطفال كاميرون طوال اليوم خصوصًا بعد أن وجدت جانيس وظيفة في شركة فأصبحت تقضي طيلة النهار في الخارج وتعود ليلًا متعبة. وفي أيام العطل كان كاميرون يأخذها إلى استراحة

الشاحنات على الطريق السريع لكي تتسول المال من السائقين. كان يريد الاستفادة منها إلى أقصى حد.

لعل أغرب ما في قصة كولين هو أن كاميرون سمح لها بزيارة عائلتها، لا بل أخذها هو بنفسه لزيارة والديها وقدم نفسه لهما على انه خطيبها، كان فرح العائلة عارمًا بعودة ابنتهم، لكن هالهم التغير الكبير الذي طرأ عليها، كانت نحيلة شاحبة منكسرة. وتركها كاميرون مع أهلها على أن يعود لاصطحابها لاحقًا. العجيب أن كولين قضت يومًا كاملًا برفقة والديها وشقيقاتها من دون أن تقول كلمة واحدة حول ما جرى لها في السنوات الثلاث المنصرمة، لم تقدم لهم أي معلومة، وكانت ترد على أسئلتهم الكثيرة بشكل مقتضب، أخبرتهم بأن خطيبها، أي كاميرون، يعمل في شركة كمبيوتر وبأنهما في غاية السعادة معا، لكنها تملصت من إعطاء عنوان سكنها أو رقم هاتفها، كان كلامها غامضًا ومريبًا بحسب شقيقتها، لكنهم لم يلحوا عليها بالسؤال، لقد خشوا أن يغضبوها فلا يروها مرة أخرى. وفي اليوم التالي أخذتها أمها إلى الكنيسة المحلية حيث التقت بالأقارب والأصدقاء، وحين رجعت من الكنيسة كان كاميرون بانتظارها، عاد ليأخذها، وكان الوداع حارًّا ومؤثرًا، والتقطت لهما شقيقتها صورة فوتوغرافية بدوا فيها بغاية السعادة كأي حبيبين، وقد وعد كاميرون أهلها بأنه سيأتي بها لتزورهم ثانية قريبًا، وهو وعد لم يفِ به قط.

في الواقع كانت تلك الزيارة أكثر شيء محير في قصة كولين بأسرها، إذ كان بإمكانها أن تنهي مأساتها بكلمة واحدة منها، لكنها لم تفعل، وحين

سألها صحفي بعد سنوات عن سبب عدم إخبار عائلتها عن حقيقة ما جري معها، قالت إن خوفها من "الشركة" كان مسيطرًا على إدراكها وجميع حواسها، كان كاميرون قد أخبرها خلال الطريق إلى منزل عائلتها أن هناك عشرات العملاء للشركة يراقبونها الآن، وأن هؤلاء العملاء سيحيطون بمنزل عائلتها على مدار الساعة وبأنها لم تكلمت بحرف واحد عما يجري فإن العملاء سيقتحمون المنزل على الفور ويقتلون العائلة برمتها.

بعد أسابيع قليلة على تلك الزيارة فقدت جانيس وظيفتها، وساءت علاقتها بكولين، بدأت تغار منها وتشعر بأنها تستحوذ على اهتمام كاميرون أكثر منها، فأخذت تؤلبه عليها، وكان هو نفسه قد شعر بأنه منحها حرية أكثر من اللازم، لذلك قرر أن يعود للطريقة القديمة، فقام أولًا بإجبارها على الذهاب إلى الجيران وتوديعهم بحجة أنها ستترك العمل وتعود لبلدها، ثم جعلها تودع أطفاله، وحين ظن الجميع بأنها سترحل فعلًا أعادها إلى التابوت تحت السرير. وهناك قضت ثلاث سنوات مريرة أخرى..

في عام **1983** بدأ كاميرون يتحدث أمام جانيس عن رغبته باقتناء المزيد من العبيد، أراد ثلاث فتيات إلى أربع أخريات مثل كولين، لم يكن مجرد كلام، إذ شرع بتهيئة مستلزمات ذلك، فأخذ يحفر في الحديقة الخلفية حفرة كبيرة لتكون الزنزانة يحتفظ فيها بعبيده، وصار يخرج كولين ليلًا من التابوت لكي تعمل حتى الصباح في الحفر، وحين انتهى العمل بعد عدة شهور كانت كولين هي أول من دشن تلك الزنزانة، لكنها سرعان ما فاضت بالمياه فألغى كاميرون الفكرة برمتها وأعاد كولين لتابوتها.

وفي مطلع 1984 بدء كاميرون يعطي كولين مزيدًا من الحرية مجددًا، فأعاد تقديمها لأطفاله والجيران، وأخذت تخرج إلى الشارع، حتى أنها حصلت على وظيفة كمنظفة في فندق محلي، وطبعًا كان راتبها يذهب لجيب كاميرون الذي أخبرها بأنه سيجمع لها المال لكي يشتري لها منزلًا مجاورًا لمنزله.

في هذه الأثناء كانت هناك تغييرات جوهرية تطرأ على جانيس، أصبحت كثيرة التردد على الكنيسة المحلية، ونتيجة لتعمقها في الأمور الدينية صار الشعور بالذنب يأكلها بسبب دورها في ما جرى ويجري لكولين. أخذت نقمتها تزداد يومًا بعد آخر على كاميرون، خصوصًا بعدما أخبرها بأنه يريد أن يتخذ من كولين خليلة وينجب منها أطفالًا، وكذلك حديثه المستمر عن رغبته في الحصول على المزيد من الجواري. أما أهم تغيير طرأ على جانيس فهو أنها بدأت تفقد ثقتها بادعاءاته، خرجت من قوقعة الأوهام أخيرًا، هي في الحقيقة كانت ما تزال مؤمنة بوجود "الشركة"، لكنها أصبحت على ثقة بأن كاميرون ليس عضوًا في تلك الشركة، وأن تلك العقود جميعها مزيفة.

جميع عوامل النقمة تضافرت حتى وصلت بجانيس إلى الانفجار. ذات يوم ذهبت إلى محل عمل كولين وأخبرتها بصراحة بأن كاميرون كاذب، وبأنه ليس عضوًا في "الشركة".

كانت تلك صدمة كبيرة لكولين، صدمة أيقظتها من الوهم الذي زرعه كاميرون في رأسها. وفي الحال اتصلت بوالدها وطلبت منه أن يرسل إليها

ثمن تذكرة حافلة لكي تعود إلى المنزل، فهي لا تمتلك بنسًا واحدًا لأن كاميرون كان يأخذ مالها أولًا بأول. فحوَّل لها والدها المال بالحال. وقبل أن تصعد الحافلة التي ستعود بها إلى الديار اتصلت عن طريق هاتف عمومي بكاميرون، أخبرته بأنها راحلة ولن تعود، فحاول تهديدها وتخويفها بالشركة، فأخبرته بأنها تعلم الحقيقة الآن وبأن التهديد لم يعد ينفع معها، فراح يبكي كالأطفال ويتوسل إليها أن تعود إليه، لكنها أنهت المكالمة واستقلت الحافلة..

أخيرًا.. بعد سبعة أعوام مريرة.. ستعود إلى المنزل..

عادت كولين إلى المنزل..

والغريب في قصة كولين هو أنها لم تتقدم ببلاغ إلى الشرطة ضد كاميرون ولم تخبر أهلها بحقيقة ما جرى لها على يده حتى بعد أن تحررت منه، أخبرت عائلتها كذبًا بأنها فسخت خطبتها معه، كان كاميرون ما زال مسيطرًا على عقلها، وخلال الأسابيع التالية تبادلا الكثير من المكالمات، كان يترجاها أن تعود، وكانت ترفض ذلك.



في الحقيقة ما أطاح بكاميرون بالنهاية لم يكن كولين، بل زوجته جانيس، إذ اعترفت لقس الكنيسة بكل شيء، فاتصل هو، بموافقتها بأحد محققي الشرطة. وهكذا انفضح السر وظهرت الحقيقة. وذهبت الشرطة مع جانيس إلى البقعة التي زعمت أنها وكاميرون قاما برمي جثة "ماريا سباهيك" فيها.. وهي الفتاة التي اختطفها كاميرون قبل اختطافه لكولين، لكنهم للأسف لم يعثروا على شيء، إلا أن ذلك لم يفت بعضدهم، فكولين ما زالت حية، وكانت هي دليلهم الأكبر للإيقاع بكاميرون.

وكان كاميرون خلال الأسابيع التي تلت رحيل كولين قد شرع بإتلاف جميع ما يمكن أن يدينه، خصوصًا الصور، إذ كان من عادته أن يلتقط صورًا لكولين خلال تعليقها بالحبال وتعذيبها..

لكن جانيس كانت قد احتفظت ببعض تلك الصور وقدمتها للشرطة كدليل، كما أن المحققين عثروا خلال تفتيشهم لمنزل كاميرون على أداوت تعذيب وصناديق خشبية كان يستعملها لحبس كولين، وعثروا أيضًا على عقد العبودية المزيف. والأهم من كل ذلك هو أنهم اتصلوا بكولين وهيؤوا لها طبيبًا نفسيًا لكي تستعيد توازنها، وبعد فترة قصيرة استطاعوا حملها على التكلم فاعترفت بكل شيء.

أصبحت القضية الآن متكاملة الأركان فألقي القبض على كاميرون، وبدأت الصحافة تكتب بإسهاب عن القصة التي وصفت آنذاك بالعجيبة، وبأن "لا مثيل لها" في سجلات الشرطة الاتحادية الأمريكية. وراح الناس يتابعون باهتمام واحدة من أغرب القصص التي سمعوها في حياتهم، كان

الجميع غاضبين. كيف يمكن أن تتعرض فتاة شابة لكل هذه القسوة لمدة سبع سنين من دون أن يتم اكتشاف الأمر؟ وطالب الكثيرون بإعدام كاميرون.

جانيس خشيت أن تتم محاكمتها هي الأخرى بتهمة التواطؤ مع زوجها، فتوصلت إلى اتفاق مع المدعي العام بموجبه يتم إعفاؤها من أية مسائلة قانونية على أن تشهد ضد زوجها في المحكمة وتساعد على إدانته.

وخلال المحاكمة حاول محامو كاميرون إبراز الأمر كما لو أن ما جرى لكولين كان بالتوافق، إذ زعم كاميرون بأن جميع ما فعله بكولين من تعليق وضرب وحبس كان برضاها، وأنه تمت المبالغة في تصوير قسوته معها، فعلى العكس كان لطيفًا معها إلى أبعد الحدود، وأنهما في الحقيقة واقعان في حب بعضهما البعض، وقد اتفقا على الزواج بعد أن يقوم كاميرون بتطليق جانيس، ولإثبات ذلك قدم كاميرون للمحكمة عدة رسائل بخط يد كولين تعترف فيها بحبها العارم له. أما بالنسبة لقصة "الشركة" وعقد العبودية فقال بأنها مجرد مزحة استوحاها من قصة خيالية كان قد قرأها في جريدة محلية.

المحاكمة استمرت لعدة جلسات، لكن فصل الخطاب بالقضية برمتها كانت شهادة كولين، وكانت قد مرت أكثر من سنة على مغادرتها لمنزل كاميرون، خضعت خلالها لعلاج نفسي مكثف فاستعادت جزءًا كبيرًا من توازنها. وراحت تسرد للمحكمة تفاصيل ما تعرضت له على يد كاميرون، وكيف أنه لم يكتفِ بتعذيبها وإذلالها بل قام بغسل دماغها وفقًا لخطة

أعدها مسبقًا. وأن حديث العبودية و"الشركة" لم يكن مزحة قط، بل كان تجسيدًا حيًّا لسادية كاميرون وقسوته، واستخدامهما بشكل بشع لتخويفها وإخضاعها، وبالنسبة للرسائل التي قدمها كاميرون للمحكمة كدليل على حب كولين له، قالت كولين إنها حقيقية لكنها ليست نابعة من قلبها بل كتبتها مضطرة، إذ كان قد أجبرها على كتابتها لكي يستخدمها لاحقًا كدليل لبراءته في حال افتضاح أمره، كما أنها كانت مضطرة دائمًا لتملقه لكي تحظى بمعاملة جيدة وتتجنب العودة إلى الصندوق.

شهادة كولين كانت أمرًا مؤلمًا بحق، الكثير من الحضور انخرطوا بالبكاء وهم يستمعون لتفاصيل يصعب تصورها، كان هناك شعور طاغٍ بالغضب من قبل الناس والصحافة والحكومة، وكان هناك شبه أتفاق على أن لا ينجو كاميرون بفعلته، خصوصًا، وأنه لم يُبدِ أي ندم خلال محاكمته، بل خال ما فعله أمرًا جيدًا يستحق عليه الشكر والثناء!

أخيرًا، في عام 1985، وجدت هيئة المحلفين بأجمعها كاميرون هوكر مذنبًا بجميع التهم الموجهة إليه، وأصدر القاضي حكما مشددا عليه بالسجن لمدة 104 أعوام من دون الحق بطلب العفو قبل عام 2023.

طويت القضية، وعادت كولين ستان لتمارس حياتها الطبيعية، أكملت دراستها وعلاجها النفسي، تزوجت وتطلقت ولديها اليوم ابنة شابة. وهي تعيش تحت اسم مزيف لحمايتها من تطفل الصحافة. وتعد ناشطة جدًّا في قضايا الاختطاف والاغتصاب، إذ تحاول دومًا أن تقدم الدعم والمشورة للنساء اللواتي مررن بمحنة مشابهة لما مرت هي به.

بالنسبة لجانيس فلا يعرف الكثير عن مصيرها وأطفالها، والعلاقة مقطوعة تمامًا بينها وبين كولين.

في عام **2015** تقدم كاميرون بطلب للحصول على العفو بحجة معاناته من مشاكل جسدية وعقلية، وكانت كولين من أشد المعارضين لحصوله على عفو، وقادت حملة كبيرة ضده، وشعرت بسعادة كبيرة حين تم رفض طلبه بحيث لا يحق له التقدم بطلب عفو آخر إلا في عام **2030**. قالت للصحفيين: "جلسة الاستماع كانت جيدة وأنا سعيدة حقًّا بالنتائج. هو لم يُبدِ أي ندم، لقد ضيع حياته من الأساس، **30** عامًا في السجن ولم يفعل أي شيء لكي يحسن أو يغير نفسه أو يسأل نفسه: لماذا فعل ذلك؟ أنا لا أعلم ما هي المشكلات الصحية والعقلية التي يعانيها، لكني لا أعتقد بأنه عجوز طيب، وأنه لن يكرر ما فعله سابقًا.



رأينا كيف سيطر كاميرون على ضحيته، وكيف مارس شذوذه عليها وأقنعها أن توافقه كل تلك الأعوام، وكيف كان يقتل بلا أي ضمير يذكر، ربما لأنه رأى ان ما يفعله هي ميوله العادية، وأنه شيء من حق كل فرد أن يخطف ويعذّب فتاة وكأنها قد خلقت لمتعته الشخصية فقط،

المرض النفسي داخل كاميرون هوكر قد تمكن منه لدرجة أتاحت له فرصة تنفيذها بلا أي تحمل للعواقب، وسمح له بإيذاء الآخرين لأعوام كثر، وهو ما فعله فعلا مع أكثر من فتاة.

***

سعد إسكندر

عبد المسيح







في تلك القصة التي سنتناولها معًا، نوع آخر من أنواع التحول النفسي من الشخصية السوية إلى القاتل المتسلسل، ذلك الصعيدي الذي أجبره الفقر ورفقة أبويه في تربيته وتقويمه إلى الاتجاه للقتل ثم الاستكمال في القتل ليصير واحدًا من أشهر السفّاحين المتسلسلين في تاريخ مصر الحديث، ذلك الشاب الهادئ الوسيم الذي كان السبب في حالة الرعب التي سيطرت على عروس البحر الأبيض " الإسكندرية" لسنوات.

هنا، نرى إن الاحتياج للأموال والكسب السهل وتدليل الأبوين هما السببان الرئيسيان في تحول ذلك الحالم القادم من الصعيد المصري إلى قاتل دموي يشتهي الدماء كلما ساحت له الفرصة، هو ذلك الشاب "سعد إسكندر عبد المسيح".

سعد كان شابًّا وسيمًا، مثله كمثل أي شاب حالم أعطاه الله لمحة من الجمال بمقاييس ذلك الزمان، قوام رشيق وعينان لامعتان ولسان يفيض بالمشاعر تجاه من يكلّمه ويوجه له الحديث.

كان أبواه يحبانه كثيرًا، يفضلانه على إخوته في بعض الأشياء أو كما يطلق على من في شاكلته آخر العنقود، لم يحرمه أبواه من شيء قط.

ترعرع سعد على تلك الطريقة في اللامبالاة كأن كل شيء من حقه، على العالم أن يعطيه ما يستحق، هذا العالم قد خلق له وحده دون غيره، هو يستحق أكثر من هذا، أو هكذا كانت قناعته.

كان شابًا وسيمًا كما قلنا، وكان أخوه الأكبر يمتلك مصنعًا بسيطًا للغزل والنسيج في أسيوط العام **1948**م في ظل انتهاء الحرب العالمية الثانية والطفرة الصناعية في أواخر عهد الملك فاروق الأول ملك مصر والسودان.

كان سعد شخصًا طائشًا بالرغم من كل شيء، مستهترًا يعشق النساء وتقع النساء في براثنه بسهولة.

ولما كان مصدر الدخل الذي يعتمد عليه سعد ليس بالكثير من دخل المصنع، فقد آل أمره إلى وسيلة أخرى لتوفير مصروفاته الخاصة، ألا وهي مصاحبة النساء.

تعرّف سعد في ظل تلك الظروف إلى امرأة ثرية، أرملة تاجر كبير تمتلك الكثير من الأموال وعلى قدر من الجمال، أوقعها سعد في غرامه بلسانه المعسول ووجهه الوسيم فأحبته.

وعلى قدر الحب الذي أحبته له كانت تغدق عليه بالأموال كلما احتاج، بل أنها أحبته حبًا جمًا جعلها تستأمنه على كل شيء.

كان هو دائم السهر عندها، أهمل عمله في المصنع وسهر معها ليلة وراء أخرى، هي لقمة صائغة بالنسبة له من حيث توفير عش الغرام والمصاريف أيضًا.

مع استمرار زياراته لها والعمل على وضع ثقتها به هو دون غيره، بالكثير من الوعود والقبلات والمقابلات، أحبته أكثر مما ينبغي، ومع ازدياد لهب الحب وثقت به، وَأظهرت دليلًا على حبها له أوهمها أنها بفعل هذا، فهي تربطه في حبها أكثر وأكثر.

ففي ليلة من ليالي غرامهما كشفت له عن مكان أموالها التي تحتفظ به في منزلها الخاص، وضعت أمام عينه مخبأ الأموال الخاص بها لعلّه يعشقها أكثر فأكثر، ولكنها لم تكن تعلم أن الشيطان قد تمكّن منه ويقوده كالركوبة.

حين رأى سعد الأموال، لمعت عيناه، وصوّر له الشيطان أن حياته الفقيرة ليست جديرة بشخصه العظيم، وأن عليه أن يأخذ الأموال، ويبدأ حياة جديدة كملك متوّج بعيدًا عن أسيوط مسقط رأسه، ثم اختمرت الفكرة في عقله وشارف على تنفيذها، عليه ان يعمل على تغيير حياته للأحسن.

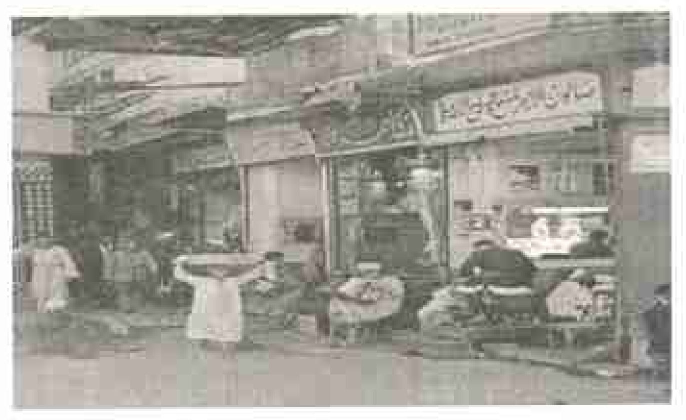
جائت الليلة الموعودة، أنهى سعد عمله باكرًا، واستعد للسهرة مع حبيبته الثرية.

وفعلًا ذهب لها تلك الليلة كما اتفق، وهو عاقد العزم على إنهاء ما خطط له مسبقًا، بادلها الحب والسكر كما تعودوا، وكانت هي كالعادة عجين بين يديه يشكّله كما يشاء، وفي منتصف طريق اللذة، أعطته ظهرها يستكمل ما يفعل، ولكنه كان مستعدًّا لشيء آخر سيمتعه هو دونًا عنها.

في لحظة، أخرج سكينه المسنون جيدًا، ثم باغتها بطعنة في ظهرها،

لم تكن هي تدري أو تشعر بألم جسدي أكثر من الألم النفسي الذي سببته الدهشة من تلك الفعلة، توقفت أفكارها حين باغتها بالطعنة الثانية، لماذا يفعل هذا وأنا لم أحرمه شيئًا قط؟

ظل يطعن فيها إلى أن زهقت روحها وانتقلت إلى بارئها، وصارت خاوية مغرقة بالدماء، جثة هامدة كانت منذ قليل تشعر بالنشوة والنشاط والحيوية.



تركها سعد واتجه إلى مخبأ النقود بكل أريحية بلا خوف أو توتر، أخذ كل شيء، الأموال والذهب وكل شيء، ثم تركها وفر بعيدًا عن المنزل، بل عن المحافظة كلها آملًا في بداية جديدة لحياته الكئيبة من عامل إلى مالك.

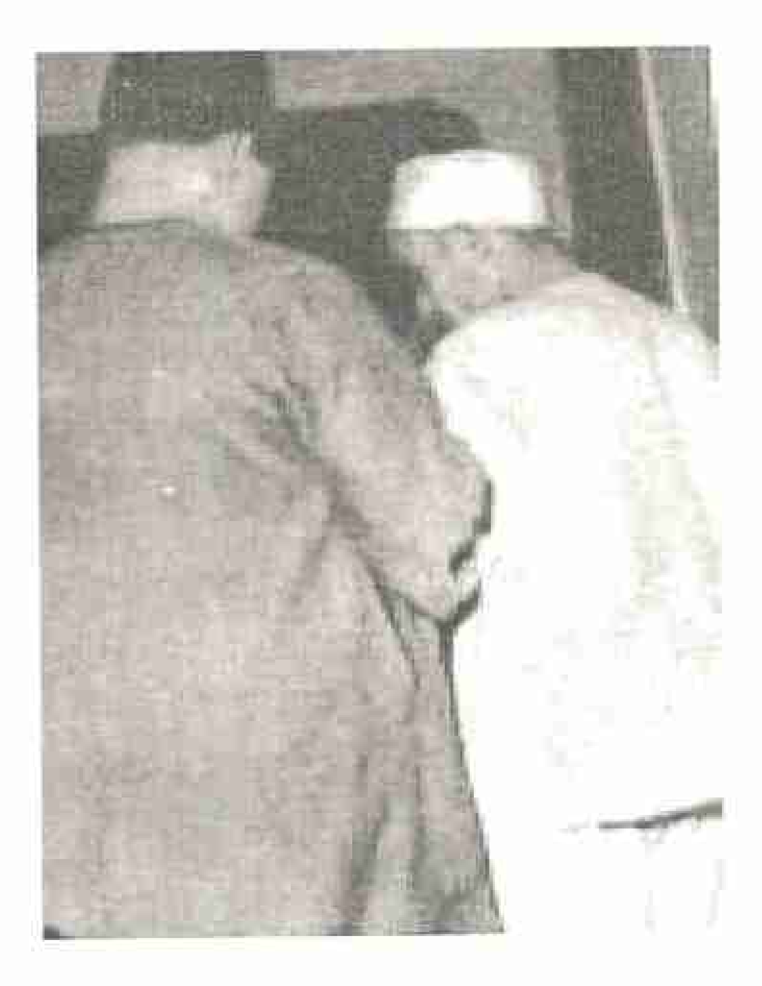
اتجه سعد في نفس الليلة إلى الإسكندرية حتى لا يكشف أمره وبحجة الحاجة لسلفة بعض المال من أقاربه هناك.

في الإسكندرية، وبعد أيام قليلة من وصوله، بحث سعد عن واجهة يداري بها جريمته ووضعه المالي المتغير حتى لا يثير الشكوك، قاده البحث إلى مخزن صغير مهجور للقطن والنسيج في منطقة " راغب باشا" فاستأجره بحجة تحويله لمخزن لمصنعه في أسيوط، إلا أنه كان في نيته أن يحوله لوكر لجرائمه.

سعد كان يستغل وقته في أن يوقع البنات في حبه، يستدرجهن للمخزن الذي استأجره، وهوا يمارس الحب معها، يخرج ساطوره ثم يباغتها بالضرب حتى يقتلها، ثم بعد هذا يقوم بسرقة ما معها ودفنها في أرض المخزن فلا يُكشف أمره أبدًا،

كان سعد من محبي أسطورة السفاحتين ريا وسكينة، ويؤمن بأن المصادفة فقط هي من أوقعت بهما، وأنه لو أحسن عمله لن يُكشف أمره أبدًا، هنا نلاحظ تحول سعد إسكندر من عاشق أو قاتل بالمصادفة كما حدث معه في حادثة الأرملة، إلى قاتل يعشق القتل، لربما كان يخرج انتقامه من المجتمع في قتل الفتيات كأنه يروي عطشه من الدنيا بالقتل، كان يمارس القتل يومًا بعد يوم حتى إن الشرطة لاحظت في تلك الفترة " "عام 1948" أن الفتيات في منطقة كرموز يختفين بمعدل فتاه كل أربعة أيام، وهو رقم لا يستهان به أبدًا، مما أثار الشك في نفس الضبّاط في المديرية، ومعه انتشرت الشائعات فعم الزعر أرجاء الإسكندرية، هناك من يخطف

الفتيات ولا شك وهذا ما أثار حفيظة العامة في تلك الفترة، فخافوا لشهور من النزول أو الولوج خارج ديرهم في ساعات الليل، او وحدهن، خوفًا من الخطف أو القتل.



في سبتمبر من نفس العام، كان سعد يتردد كثيرًا على فتاة اسمها فاطمة، تقطن في حي غابريال الشعبي في الإسكندرية، تعرّف إليها سعد فأوقعها في حبه كعادته، عشقته وقدمت له الحب على طبق من ذهب، وكان يخدعها كعادته مع الفتيات الأخريات، ولكنه كان يتركها قليلًا لملذّاته الشخصية، حيث إن فاطمة كانت تقطن وحدها في منزلها، وكانت تجيد الطهي بشكل احترافي جعلها تقطن داخل قلب سعد كثيرًا من الوقت، فهي لقمة صائغة حرفيًا، توفر له المأكل والملبس والغرام والسكر.

ولما كان يتردد كثيرًا على المنزل في أوقات الليل والنهار بمعدل مرة كل يومين، فقد لاحظ سكان المنزل والمنازل حولها ظهور هذا الشاب الوسيم كثيرًا عندها، فما كان منها إلا أن ادعت أنه أخوها حتى توفّر له الحجج في زيارتها متى شاء، ما انفك يأتي ويذهب وقتما شاء وكان الجميع يعرفه بأنه أخ فاطمة العزباء، في ليلة من الليالي كان كعادته يسهر عندها في منزلها، يأكل بشراهة ثم يبادلها القبلات، لاحظ سعد ان الشقّة المجاورة في العلية لشقّة فاطمة صامتة تمامًا، مضيئة بلا صوت وهو ما شد انتباهه أو الجزء المسئول عن الجريمة في عقله الباطن، لربما امتلك المجرم حاسة سادسة تستشعر الفرص في أي وقت ومكان.

سألها عن تلك الشقة، فقالت له فاطمة وهي تتذوق شفتيه إن تلك الشقة تسكنها عجوز تعدّت التسعين من العمر اسمها بمبة، بلغت من العمر أرذله فعليًا.

وحين علم أنها تعيش وحدها في منزلها المجاور لمنزل فاطمة، وأنها على قدر من الثراء، لمعت في عقله الفكرة.

لماذا لا يسرقها وهي عجوز لن تقوى على مقاومته؟ هذه ليست أوّل مرة يفعلها، فليفعلها إذًا.

لم يحسب سعد وقتها خسارته لمقر سكن ومأكل فاطمة التي كانت توفره له، بل سيطر الشيطان على تفكيره كليًّا.

وفي تلك الليلة أنهى سهرته سريعًا مع فاطمة وذهب إلى مخزنه الصغير الذي يسكن فيه ليدرس الخطة جيدًا.

في الليلة التي تلتها ذهب سعد كعادته لفاطمة، ولكن هذه المرة لم يقرع باب فاطمة إنما صعد دور زيادة عن دورها، واتجه صوب باب "بهية" العجوز وطرقه عدة طرقات.

جاء صوت العجوز بهية بطيئًا (كهيلًا) ينبئ عن عمر ذاع واندثر، تتساءل من يكون الطارق في تلك الساعة.

لعلّه أحد أبنائها يطمئن عليها؟ ولكنها ليست عادتهم أن يزوروها في تلك الساعة.

حين فتحت بهية الباب، وجدت قضاءها متمثّلًا في ذلك الشاب الوسيم "سعد"، ولكن تبدّلت وسامته بنظرة شيطانية ارتسمت على ملامحه، ما إن رأته حتى هجم على فمها العجوز وكمّمه وجرجرها إلى الداخل، كانت

تحاول الصراخ، ولكن عمرها لم يسعفها، وبالرغم من كل شيء أفلتت منها صرخة من الداخل كانت عالية بعض الشيء.

أخذ سعد ساطورًا كان معلّقًا في المطبخ، ثم ضرب به رأسها ضربة جعلت جمجمتها تتهشّم والدم يفور في كل اتجاه.

صرخت بمبة ثانية فعالجها بضربة أطاحت برأسها بعيدًا عن جسدها تمامًا، وهدأ الأمر.

حين هدأت هم هو بالبحث عن الأموال في الشقة حتى وجده كاملًا، أخذه وأخذ بعض الذهب من ممتلكاتها وهمَّ بالخروج.

وهو خارج وجد فتاة اسمها " قطقوطة" تسكن في الطابق الأرضي وقد صعدت على صوت صراخ بمبة المكتوم لتستفسر عن ماهية السبب، بكل برود أعصاب رد سعد وقال لها بابتسامة: اطمئني، إنها تصلي في الداخل، لا تقلقي.

ثم أشار إليها إلى الداخل وقال لها: تفضلي لتطمئني بنفسك.

شرعت قطقوطة بالدخول وهي تلقي السلام، ثم صرعها منظر الدماء على الأرض ورأس بمبة مفصول من جسدها تمامًا.

وقبل أن تصرخ قطقوطة، كان سعد قد رفع ساطوره وهوى به على رأس قطقوطة بكل قوة، لتسقط في دمائها على الفور بجانب بمبة، ثم فرّ هاربًا.



بعدها بدقائق، وصل أحد ابناء قططوطة إلى المنزل فلم يجد أمه، فصعد إلى الست بمبة كعادته ليطمئنَّ عليها فوجد الباب مفتوحًا على مصراعيه.

دخل، ثم صعق من المنظر، بمبة ووالدته قطقوطة على الأرض والدماء تغطيهم، ورأس بمبة مفصول عن جسدها.

أبلغ الشرطة والإسعاف فورًا ونقلوا قطقوطة إلى المستشفى، ولسوء حظ سعد إسكندر أن قطقوطة لم تمت، كُتب لها عمر جديد، وأنقذوها وكأن الله أراد أن يكشف أمره فتغافل عن تأكيد موتها قبل هروبه.

أفاقت قطقوطة وحكت كل شيء إلى النيابة، قالت إنها رأت شابًا يتردد كثيرًا على جارتهم فاطمة وهو شقيقها كما تقول.

فقبضت الشرطة على فاطمة وعلى شقيقها الحقيقي فقد كان لها شقيق، وحين عرضت النيابة شقيقها على قطقوطة الشاهدة الوحيدة نفت أن يكون هو، بالتأكيد ليس هذا من تقصده، ولكنه شاب آخر يتردد على فاطمة.

استجوبت النيابة فاطمة عن ماهية ذلك الشاب، فاعترفت فاطمة أنه ليس شقيقها، وانه سعد إسكندر صاحب شركة الغزل، وأنه عشيقها، ولم تكن تدري بجريمته تلك.

في اليوم التالي داهمت الشرطة المخزن الذي يسكن فيه وكان هو واثقًا أنه لن يُكشف أمره قط، لم يكن يدري أن قطقوطة حية ترزق، ذهل حين تم القبض عليه تمامًا.

عرض "سعد" على النيابة وتمت مواجهته بتهمته بقتل الست بمبة والشروع في قتل قطقوطة، ولكن هدوء سعد حال دون إثبات أي شيء ضده.

استأجر سعد محاميًا كبير الدهاء، فقام المحامي باللعب على بعض الثغرات في المحضر، وخاصة التضارب في أقوال قطقوطة وشهادتها والتي اتهمها بالمجروحة، حيث إنها اتهمت أخ لفاطمة في البداية ثم أنكرت أن يكون هو لتلقي باتهامها على عاتق سعد نفسه، والذي هو ليس أخًا

لفاطمة، ونجح المحامي في تشويه المحضر والطعن في الأدلة مما أقنع غرفة المشورة بأنه لا يجدي التحفّظ على سعد، فأفرج عنه بضمان مالي وأخلى سبيله.

خرج سعد إسكندر من سراي النيابة وهو عاقد العزم على الاختفاء لفترة طويلة كي يستريح وينسى الجميع أمره.

وبالفعل اختفى سعد عن الصورة نهائيًّا، نسي الجميع أمره أو تناسوا، حتى إن القضية قُيدت ضد مجهول، وأُقفل المحضر على هذا.

عامان كاملان اختفى فيهم ذلك الشاب الوسيم عن الأجواء نهائيًّا، لم يعد أحد يراه لا عند المخزن ولا عند فاطمة، وكأنه كان وهمًا تخيّله الجميع لفترة فاختفى، وظن الجميع أن الأمور عادت إلى سابقها من هدوء واستقرار.

في عام 1951م ظهر سعد إسكندر ثانية، هذه المرة ظهر كمستأجر لشونة على ترعة المحمودية من التي تخزّن فيها الغلال وخيوط النسيج، ويبدو أنه كان يمر بضائقة مالية أو أن أموال المرحومة بمبة قد انتهت، وكان عليه أن يظهر ثانية ليفك الضائقة بأي وسيلة.

كان سعد يسكن منزلًا قريبًا من تلك الشونة، ينام به ويأكل فيه، ربما اختار موقعه بجانب الشونة بغرض إبعاد الأنظار عنه وعما ينتويه وإقناع التجّار الآخرين بهويته، أو لربما كره التجمعات والسكن الذي يتطلب أوراقا وخلافه.



في يوم من أيام العام ذاته، كان سعد يجلس خارج شونته في هدوء وتأمل، فمرّ من أمام الشونة تاجر أقمشة متجوّل يجر عربته ليبيع ما فيها، فلمعت في ذهن سعد فكرة.

نادى التاجر وأخبره أنه يمتلك بعض الخيوط والأقمشة بأسعار زهيدة وجودة عالية، ودعاه إلى الداخل.

دخل التاجر الذي لسوء حظه أنه مرّ من أمام تلك الشونة في ذلك اليوم بالذات، وكأن القدر قد ساقه لنهايته باختياره.

حين دخل ذلك التاجر إلى الشونة ومن خلفه سعد، أخرج له سعد بعض خيوط النسيج والغزل ليتفحصها بابتسامة كلها هدوء وبرود أعصاب ومجاملة، فأخذها التاجر مبتسمًا من المعاملة الحسنة وأخذ يتفحصها،

وحين أعطاه التاجر ظهره ليفحص الخيوط بعين الخبير، أخرج سعد ساطوره الذي كان يفضل القتل به دائمًا، وكأنه كان يستشعر اللذة في استخدامه للقتل، وبكل قوة هوى بضربة واحدة على رقبة التاجر، ضربة قوية لساطور مسنون جيدًا كانت كافية لتتدحرج رأس التاجر على الأرض، مندهشة على عينيها نظرة غير مفهومة كمن يتساءل: "لماذا فعلت هذا بي؟"

سقط رأس التاجر فتبعها جسده الممتلئ خلفه يهوي على الأرض وسط دمائه التي انفجرت لتغرق كل شيء، يقولون إن الرأس حين ينفصل عن الجسد تظل واعية لبضع ثوان، فلربما رأى التاجر كل شيء في ثانية قبل أن تختفي الأرض من تحت قدمه ليسلم روحه إلى خالقها ولا تدري لماذا قتلت اليوم بالذات، تاركًا الأمر لله.

هدأ جسد التاجر أخيرًا، فقام سعد بتفتيش ملابسه حتى أخرج كل أمواله ليتحصّل عليها، ثم يقوم بدفن التاجر في أرض الشونة مع رأسه بعيدًا عن أعين الناس، ليواري سوءة الجسد إلى الأبد، ثم يتعامل مع الناس كأن شيئًا لم يكن.

بعد أيام، كان سعد كعادته يجلس أمام الشونة ليجد تاجر حبوب فيدعوه إلى الدخول بحجة أنه لديه من الحبوب ما قد يسعده، فاستجاب تاجر الحبوب كالعادة لذلك الشاب الوسيم ودخل الشونة معه، وما إن وصلا لمنتصف الشونة حتى أخرج سعد ساطوره المفضّل وباغته بضربة على رأسه ليشجّه نصفين.

ولكن هذه المرة شاء القدر أن يكشف أمره، فلم تستطع الضربة قتل التاجر في لحظتها، فقام التاجر بدفع سعد لحظة كانت كافية ليتحامل التاجر على نفسه وجرحه الذي يسيل دماء ليركض خارجًا من داخل الشونة إلى الساحة الملحقة بالشونة والتي لم تكن مغطاة، بل مكشوفة إلى الشارع.

لحقه سعد ركضًا ليجهز عليه بضربة أخرى أودت بحياة التاجر أخيرًا، فجرجره وهو ينظر حوله في شك ثم يختفي إلى الداخل.

لسوء حظه كان أحد العمال في المنطقة يستريح فوق سيارة نقل تحمل أجولة من القمح بالقرب من الشونة، فرأى ما رأى من ركض التاجر وإجهاز سعد عليه وقتله.

فأسرع العامل إلى قسم الشرطة ليبلغهم ما رأى.

وما إن استقبل القسم البلاغ حتى أخذوا قوة وأسرعوا ليعاينوا ذلك المخزن وما يحدث بالداخل.

دخلت القوة إلى الشونة ليصرعوا من منظر الدماء، جثة تاجر الحبوب في منتصف الشونة غارقة في دمائها، والسفاح قد تمكن من الاختفاء والهرب، ربما استشعر أن أمره قد افتُضح أو أحس أن أحدًا قد رآه فهرب.

عاين رجال الشرطة باقي الشونة فوجدوا حجرة صغيرة بها، قاموا بفتحها فوجدوا آثار حفر وحفرة مريبة في داخلها.

حين حفروها، وجدوا ما لا يقل عن 7 هياكل عظمية مدفونة بالداخل، حينها علمت الشرطة أنهم أمام سفاح متسلسل أسموه "سفاح كرموز".

ثم انتشر الخبر في الصحف والمجلات والأخبار، تناسى الناس السياسة والرياضة وكل شيء واهتموا فقط بسفّاح كرموز، كانوا يذكرون اسمه فيخافون من ذلك المجرم الذي ما زال هاربًا من العدالة، تضخّم الأمر وانتشر في ربوع المملكة التي صارت جمهورية حتى أصبح اسمه نوعًا من أنواع الرعب، استحوذ على كل الأخبار وقتها، وخاف الناس من سيرته خاصة أهل إسكندرية.

حين حققت الشرطة أكثر فأكثر وعلموا باسمه "سعد إسكندر عبد المسيح" جاء في التحريات أن سبق أن اتُّهم بقتل سيدة عجوز اسمها بمبة منذ عامين، بنفس الطريقة، فتراءى لهم الأمر وصار أكثر وضوحًا.

جائت التحريات في سوق الأقمشة عن ظهور سعد ببعض البضائع مجهولة المصدر ليبيعها لحسابه، فعرفت الشرطة أن أول هيكل عظمي كان يخص تاجر أقمشة، ثم ربطوا بين تاجر أقمشة مفقود اسمه "وزيري فام مرقص" الذي أبلغت زوجته عن اختفائه وبين تلك الحادثة، خصوصًا أنهم وجدوا آثار حرق لعربة من النوع الكارو في ركن الشونة، ثم اتضحت الرؤية أكثر حين اكتشفوا أنه قد سرق من جيب تاجر الحبوب 600 جنيه ثم هرب بدون أن يكمل تفتيش في ملابسه، فلم يلحظ وجود 160 جنيه

أخرى بداخل جيب آخر مما أثبت أنه شعر بالخطر فعلًا من افتضاح أمره، وأضاف دافعًا للقتل ألا وهو السرقة.

حين ذهبت الشرطة إلى منزله القريب من الشونة لتفتيشه، وجدوا عددًا من مجلة الشرطة التي كانت تصدر وقتها، وبها صفحة تخص ريّا وسكينة.

ووجدوا بداخل قصّة ريا وسكينة أن سعد قد علّم على سطر من السطور التي تتناول طريقة إخفاء المرأتين لجثث ضحاياهما بدفنها داخل المنزل، فيما يبدو أنه كان مولعًا بهما.

فتم توزيع نشره بأوصافه واسمه على جميع أقسام ولجان الجمهورية،

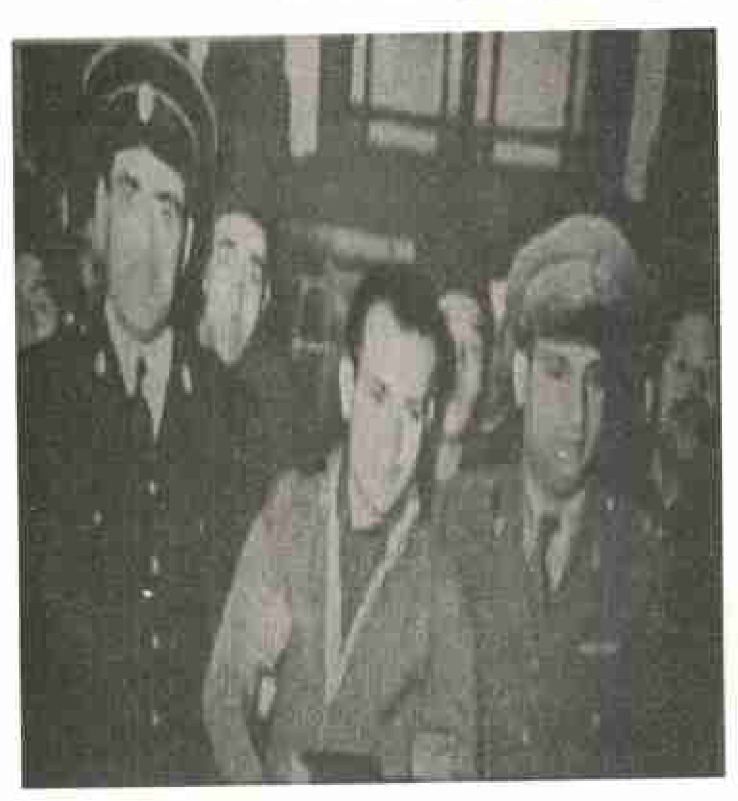
حفظ الجميع اسمه، وصارت ملامحه محفوظة للجميع، تلقت الأقسام الكثير من البلاغات في الاشتباه في رؤيته في أماكن مختلفة، وعمل جهاز الشرطة على إيجاده بشتى الطرق.

أما عن سعد نفسه، فحين حاصرته الأعين ولم يقوَ على الاختفاء أكثر من هذا، خصوصًا أن الدولة كلها كانت تسعى وراءه فلا مناص أبدًا من الاختفاء.

فكر سعد في العودة إلى بلدته القديمة في محافظة أسيوط لعلّه ينجح في التواري قليلًا عن أعين الشرطة.

كان سعد ماهرًا في الاختفاء وكان لأناقته يعرف رجال شرطة إسكندرية جميعهم، فكان يعلم كيف يختبئ وكيف يتحرّك ولا يثير الشك، وبرود أعصابه كانت أكثر موهبة يمتلكها فعلًا، بها كان يستطيع المناص من أي شيء.

في يوم ما قرر العودة إلى أسيوط، عقد العزم وقرر التحرّك إلى محافظته غير المزدحمة والتي سيستطيع أن يجد منفذًا فيها.



في تلك الليلة، استقل أتوبيس أجرة متجهًا إلى أسيوط معتمدًا على ان أحدًا لم يتوقع أن يملك تلك الجرأة للظهور بين الناس.

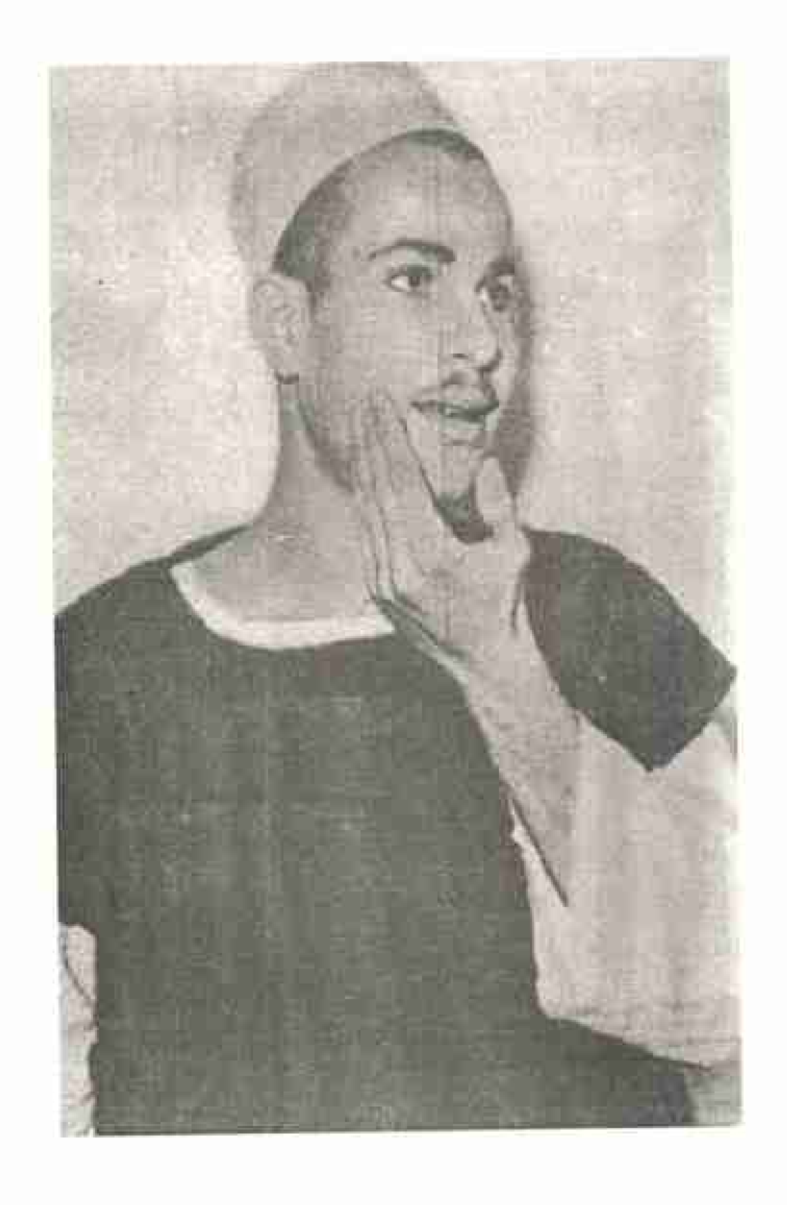
ولكن لأجل حظه العثر، كانت هناك لجنة منصوبة من قبل الشرطة في الطريق إلى اسيوط تحديدًا على طريق أسيوط الزراعي، لجنة شرطة عادية جدًّا يرأسها الملازم أول "فخري عبد الملك" وكان يقوم بتفتيش روتيني للسيارات بدون حتى أن يكون هدفه القبض على ذلك السفّاح،

أوقف الملازم الأتوبيس لينظر بداخله على الراكبين كإجراء روتيني، فلفت نظره ذلك الراكب المتأنق الذي ظهرت على ملامحه بعض التوتر وملامحه ليست بالغريبة أبدًا.

فنظر له الملازم وباغته بالسؤال عن اسمه، فأجاب في توتر وصوت يخرج متوترًا: جورج عبد السلام.

كانت لكنة سعد صعيدية فثار الشك في نفس الشرطي، فأعاد الشرطي السؤال ولكن بحدية أكثر ليزيد من توتره فسأله عن اسمه فأجاب: اسمي جورج عبد الملك.

وكان سعد يتحاشى النظر إلى عين الشرطي، فاقترب الشرطي منه وصمت يفكّر قليلًا، ثم ابتسم ووضع يده على كتفه وقال: لا، أنت سعد إسكندر سفّاح كرموز، فتحشرج سعد ولم يرد، يبدو أنه انكشف أخيرًا، فقبض الملازم عليه في الفور واتجه به إلى الإسكندرية لتسليمه.



حين باشرت النيابة في الإسكندرية التحقيق مع سعد إسكندر عبد المسيح، واتهمته بقتل تاجر الحبوب وتاجر الأقمشة والست بمبة و7 أخريات مجهولات الهوية بالإضافة لسرقتهم والشروع في قتل قطقوطة، بكل برود أعصاب أنكر سعد تلك التهم عنه، وقال إنه تم تلفيق كل تلك التهم له من كارهيه.

ثم حين لم يجد مناصًا من الإنكار، اعترف أن له شريكًا كان يقتل الضحايا ويستدرجهم وأنه كان يمتلك الشونة فقط، وطلب سعد من النيابة الإفراج عنه شهرًا واحدًا ليساعدهم على القبض عليه، ولكن بالطبع تجاهلت النيابة طلبه هذا وحولته إلى المحكمة.



كان سعد متأنقًا جدًّا، مبتسمًا جدًّا، كان حريصًا على الأناقة حتى في محبسه لدرجة أنه طلب من إدارة السجن ترزيًّا ليفصّل له بنطالًا آخر لأن بنطاله القديم قد قدم ووافقت إدارة السجن على طلبه.

في عام 1953م اكتملت القضية، بالرغم من أن العامة لم يصدقوا أن ذلك الأنيق الوسيم هو السفّاح الذي قتل الكثير، ولكنه بالرغم من كل هذا أُدين في قتل بمبة والتجار و7 مجهولي الهوية، وحُكم عليه بالإعدام شنقًا.

في لحظة إعدامه حاول أن يتأنق بما لديه، ثم إنه طلب سيجارة وكوبًا من المياه وانتظروا حتى أنهاهما، ثم باشروا إعدامه لتنتهي قصة قاتل محترف تحوّلت معاملة الأهل الحسنة له إلى سبب من أسباب اتجاهه إلى الجريمة والقتل الدموي، ثم الحاجة إلى الأموال السريعة كانت القاضية بالنسبة له، فتحوّل ضميره إلى كيانٍ نائم لا يرى في القتل عيبًا، فقط هو وسيلة للثراء وواجب المجتمع نحو شاب وسيم مثله، فكان اللين في المعاملة معه منذ الصغر سببًا آخر في تحوله إلى مجرم وقاتل متسلسل يقتل النساء بلا رحمة.

***

ميخائيل بوبكوف







في بلاد الثلج والصقيع، في أقصى الشمال الشرقي لأوروبا والشمال الآسيوي، تحديدًا في سيبيريا جمهوريات الاتحاد السوفييتي سابقًا، في تلك البلاد المغطاة بالثلج طوال أيام العام.

تحديدًا في بلدة أنجرسك في سيبيريا، عاش وترعرع فيها ذلك الشرطي المسمى " ميخائيل بوبكوف" وزوجته التي تعمل شرطية أيضًا، وابنتاه الجميلتان جدًّا.

كان على حد وصفهم ضابطًا ملتزمًا، أبًا حنونًا وزوجًا مطيعًا، لم يشك به أحد مطلقًا طوال حياته، هو مثال الرجل الملتزم هادئ الطباع يعمل في صمت وهدوء، يحبه الجميع ولا يخشاه أحد.

ميخائيل بوبكوف المولود عام 1964م مثال الأب الحنون والشرطي الملتزم في حياته العملية والشخصية، ولم يكن يتصور أحد أنه قاتل بل الأكثر دموية في العصر الحديث، وأنه سيكون حديث الساعة في العالم الأوروبي لسنوات عدّة.

كان ميخائيل يعيش حياة رتيبة كطالب متميز ثم شرطي متفانٍ في عمله، متزوج في ذلك الحي الهادئ في أنجرسك في سيبيريا، حيث عاش

وترعرع هناك، تزوج ميخائيل من حبيبته التي تعمل شرطية هي الأخرى، وقد رزق بابنة أسماها كاترينا، حياة هادئة رتيبة يتمناها كثير من البشر، حيث الاستقرار والهدوء والمنزل الدافئ، ثم تزويج الابنة ثم التقدم في السن فالوفاة على المضجع، ولكن ميخائيل تمرّد على تلك الحياة.



بدأ كل شيء في روسيا عام 1992م، حين سقط الاتحاد السوفييتي وتفكك على حين غفلة، ذلك الاتحاد الذي لم يتوقع أحدًا قط أنه سيسقط، كان قويًا كالجلمود، ثابتًا كالصخر، يحكم العالم ويتحكّم في نصف العالم تقريبًا.

كان بوبكوف من المؤمنين به وبشيوعيته على غرار ملايين من الروس وما حولها، فالدب الروسي السوفييتي كان قويًا بحق، توهم الكثير بوجوده وانتصاراته في الحروب حتى الحرب الباردة بين السوفييت والولايات المتحدة الأمريكية.

ثم سقط، سقط بلا أمل في العودة، بلا أمل في إصلاحات أو بيريسترويكا أو أي من أفكار جورباتشوف الإصلاحية.

حين أعلن مجلس السوفييت الأعلى للاتحاد السوفييتي بيان الانفصال الشهير عقب استقالة الرئيس ميخائيل جورباتشوف عن منصبه، وإنزال العلم الأحمر للسوفييت من فوق الكرملين، أمسى إنزال العلم كإسقاط لكل حلم وعزة سوفييتية بداخل كل رجال السلطة في البلاد، وحينها شعر الجميع بالضعف، روسيا لم تعد روسيا كما كانت، لم تعد هناك إمبراطورية شيوعية مثل السابق، انتهت الآمال والأحلام بداخل كل فرد آمن بالشيوعية والسلطوية بداخل البلاد، وعلى ما يبدو كان لوقع تلك الحادثة تأثير سلبي بداخل رجل الشرطة السوفييتي "ميخائيل بوبكوف"، ضعف ربما كبر بداخله ليتأجج غضب عارم تجاه كل شيء.

كان ميخائيل بالرغم من كل شيء يشعر الجميع حوله بالسلام والقوة والاتزان، كان يعيش بشخصيتين، شخصية الأب الحنون العطوف، وشخصية القاتل التي لم يكن قد فعّلها وقتها، وكان هناك صراع دائم بين الشخصيتين، تارة يخرج الأب الحنون فيملأ الأجواء دفئًا ونورًا، وتارة يحاول القاتل بداخله السيطرة فيخرج وحشًا سفّاكًا للدماء لا يتروى في قتل الفتيات كما سنرى لاحقًا.

عام 1992م، الهزيمة مسيطرة على وجه الكل، الكل يشعر بالانكسار، الكل يرى الاتحاد يتفكك والعالم تحكمه العولمة الأمريكية فقط دون غيرها.



كان ميخائيل يسير بسيارة الدورية التي تعوّد أن يقودها ليتفقّد الميادين والشوارع في حيّه الهادئ، كان ميخائيل في قرارة نفسه يكره بائعات الهوى، يراهم ضعيفات سكيرات يُسِئْنَ إلى سمعة المدينة، بل الدولة كلها، لربما كن السبب في ضعف الدولة نفسها، الكوكب كله، كان يسير بسيارة الشرطة في دوريته المعتادة، يتفقد المارة بلا اكتراث، حين استوقفته سيدة من بائعات الهوى تطلب منه توصيلة، فأركبها سيارته، ولكن بعدما التمعت في ذهنه أولى أفكاره الشريرة.

حينها وعلى حين غرّة، قرر أن يتجه إلى القتل.

كانت الفتاة من بائعات الهوى اللاتي كان ميخائيل يكرههنّ بشدة، يرى أن بلاده خربتها بائعات الهوى، وأن عليه أن يطهّر البلاد منهن.



سار ميخائيل بصحبة تلك الفتاة التي كانت شبة مخمورة جرّاء سهرة ليلية في أحد الملاهي بالمدينة في سيارته تجاه تلك الغابة المنقطعة بلا هوادة، كانت هي شبة فاقدة للوعي تتدارك طريقها بصعوبة، ثم إن جيناته تأكد أنه وحده معها، أجبرها على الترجّل من السيّارة، وكانا بين الأشجار الكثيفة ليلًا.

ثم إنه أخرج حبلًا من سيارته، وأمرها بأن تخلع ملابسها كلها تحت التهديد، هي لم تكن تدرك أنها تواصل طريقها للقاء حتفها بخطوات بطيئة، فطاوعته.

ثم إنها حين خلعت آخر قطعة من ملابسها، أخرج مفك من سيارته وهجم عليها، وظَلّ يعبث بجسدها بالمفك ويغرسه هنا وهناك، ثم قام

بتقطيع جلدها الرقيق حتى تنزف من كل مكان، كانت تصرخ من الألم والبرد، ثم إنه قام بخنقها بالحبل، وحين كانت تنازع كان يقوم باغتصابها بشناعة وقسوة وهي تحتضر، حتى إذا فرغ كانت قد فارقت الحياة، ثم إنه بكل هدوء ترك جسدها المهترئ وأخذ سيارته وفرَّ بعيدًا، أكمل جولته الليلية بكل هدوء ثم عاد إلى منزله منهكًا ليمارس طقوسه المعهودة في ملاطفة ابنته وزوجته ثم تناول العشاء والنوم وكأن شيئًا لم يكن.

توالت جرائمه شبه الأسبوعية على مدار أعوام، كان قد هوى القتل والاغتصاب، وكان يفعلها ببراعة متناهية، حيث كان يصطحب الفتاة إلى نقطة جديدة في الغابة المغطاة بالثلوج ثم يأمرها بخلع ملابسها، فيقوم بالعبث في جسدها بقسوة ثم يخنقها ويقوم باغتصابها جنسيًّا ليتركها جثة هامدة ويفر بعيدًا.

فعلها كثيرًا حتى أنه أدمن الدم، كان يتلذذ بتعذيب الفتيات قبل قتلهن، تحوّل من مواطن عادي إلى عاشق للدماء والاغتصاب، وكأنما أمسى يخرج أحزانه وهمومه في أجساد الفتيات، وكان بداخله يظن انه يخدم الوطن بتنظيفه من فتيات الليل ونجاستهن.



تحوّل بوكوف إلى قاتل محترف، فضّل أن تكون جرائمه الأربعاء، فسمّي بسفّاح الأربعاء.

ثم إنه تطوّر، فلم يعد يقتل عشوائيًا مثل السابق، مع توالي الحادثة تلو الأخرى، تطور أسلوب بوكوف في اختيار ضحاياه، فكان ينتقيهن بحرفية.

فكان يوم الأربعاء من كل أسبوع، يتجوّل بسيارة الشرطة ليلًا في دهاليز مدينته وشوارعها، ثم إنه يحدد بعينه ضحية واحدة فيراقبها، ينتقيها دائمًا مخمورة، خارجة من ملهى ليلي تترنّح، كان يحدد ما يريد بالتحديد، مواصفات خاصة للفتاة، ليست بالطويلة، ممتلئة قليلًا، وحدها، مخمورة تترنح، ثم من حيث لا تدري تجد نفسها تقبع بجواره في سيارته لا تدري إلى أين ذاهبة، كان يعرض عليها توصيلة فتوافق وهي لا تدرك حاضرها، مخمورة إلى حد فقدان الوعي.



أما عن بوكوف، فكان حين ينفرد بالضحية التي اختارها ليخرج عليها عقده النفسية، فإنه يأمرها بخلع ملابسها وسط الجليد، ثم يذهب إلى سيارته ليخرج أي شيء مثل سكين أو مفك براغي أو مفتاح أو مطرقة أو فأس او أي شيء، وعلى حين غرّة يضرب ضربة توقعها على الأرض وسط دمائها.

ثم إنه بعد ذلك يتلذذ بتقطيع أجسادهن الضعيفة، بطنها أو صدرها على سبيل المثال، ثم قبل أن تلفظ أنفاسها الأخيرة يقوم باغتصابها ثم يتركها ويرحل.

ومع تكرار الجرائم، كان يبدع، تارة يخطف امرأة فيقوم بقطع رأسها ليتركها تتدرج بعيدًا، ثم يمارس الجنس مع جسدها.

وتارة، يقوم بتشويه وجه الضحية حيّة، يخفي معالمها وسط صراخها الذي كتم بالدم، ثم يقوم باغتصابها أيضًا.

وتارة أخرى ظل يعبث في جسدها حتى أخرج قلبها من بين ضلوعها بالمفك، وفي كل مرّة يتطور الأمر ويقوم بفعلة أبشع من التي قبلها، فيترك رجال الشرطة في حيرة حين يجدون الجثّة في الصباح الباكر.

أما عن بوكوف، فقد كان يمارس حياته الطبيعية بلا أي تأثير يذكر، يربّي بنتيه على العفة والطاعة، أب حنون يطوق بشدة لأحضانهما وملاطفتهما.

أما عن زوجته فقد كانت شرطية هي الأخرى، كانت تحامي له دائمًا ولا تصدق أيًا من الشائعات التي تحوم حوله، فقد كانت السبب في تبرئته في مرّة من المرّات.



حيث إنه في إحدى جرائمه، أفلتت من تحت سلاحه فتاة كان ينوي على قتلها واغتصابها، ثم إنها ركضت تحت تأثير جراحها إلى المستشفى المحلي وفقدت الوعي، وحين أفاقت، حكت كل شيء عن ذلك الشرطي الذي حاول قتلها، وتعرّفت على صورته بسهولة وقتها، وفي التحقيق قامت زوجته بالدفاع عنه بشراسة، وشهدت أنه لم يفعلها أمام المدعي العام، وبحكم عملها في الشرطة فقد تمّت تبرئته وحُفظت القضية ضد مجهول، ليواصل بوكوف عمله الشنيع في القتل والخطف والاغتصاب.

ضحية أخرى كانت من نصيب بوكوف الدموي، حيث إنه حين أخذها إلى المنطقة التي تعوّد أن يغتصب فيها الفتيات وهي غابة مظلمة متشعّبة، أخرج فأسه ثم انهال عليها بالضرب حية أكثر من سبع عشرة ضربة حتى تقطّعت أوصالها وهي حية، ثم قام باغتصابها وسط كل هذه الأشلاء وتركها، وتوالت جرائمه التي لا تعد ولا تحصى حتى ترك جهاز الشرطة وعمل حارسًا خاصًا، ثم تاجرا للسيارات، وبالرغم من ترك عمله السابق إلا إنه لم يتوقف عن القتل قط.

بل على العكس توسّع في عمليات القتل لدرجة مرعبة، لم يشك فيه أحد مطلقًا إلا من بعض الاتهامات التي اعتبرها كيدية لحسن سيره في جهاز الشرطة.

وكما نرى، فإن التأثير السياسي الذي طرأ على بوكوف في سنوات جرائمه الأولى قد أثّر بالسلب على ميوله وعقله، وقاده رأسًا إلى الجريمة، ولكن لسيرته الحسنة لم يشك به أحد مطلقًا اللهم إلا مرتين حامت حوله الشكوك لتُنجيه زوجته الشرطية منهما.

على سبيل المثال، يحكي زميله الشرطي الذي كان يعمل معه، أنه كان مثالًا للشرطي الكاره للجريمة، ففي مرّة من المرات كان يطارد مغتصبًا لإحدى الفتيات، فصمّم على مطاردته حتى إنه أطلق النار عليه ليحمي الفتاة المغتصبة، وبالرغم من قسوة التعامل فإن رؤساءه في العمل اعتبروا يؤدي واجبه تجاه المغتصبة، وهذا الموقف كان من ضمن المواقف التي بيّضت صفحته أمام الناس.

على العموم، استمر بوكوف في جرائمه الدموية، وكان في كل مرة يستخدم أسلوبا أكثر قسوة في التعامل مع ضحاياه.

ثمانية عشر عامًا قضاها بوكوف في القتل والاغتصاب، ما بين عام 1992م وعام 2010م ظل بوكوف يمارس هوايته الغريبة في القتل والاغتصاب.

يقولون إنه لربما كره رؤية فتيات مخمورات نتيجة لمعاملة أمه القاسية معه، حيث كانت دائمًا ما تحتسي الخمر ثم تقوم بضربه، ولربما أساء بعض المخمورين لبوكوف في فترة من فترات حياته، لكن السبب الرئيسي يظل غير معروف.

في يوم 26 يناير من عام 1998م، كان بوكوف يترصّد فتاة ظنَّ أنها مخمورة، تسير وحدها اسمها اسفيتلانا، تبلغ من العمر خمسة عشر عامًا وإن بدت أكبر من هذه السن قليلًا.



اقترب منها بوكوف بسيارة الشرطة كعادته حين ينوي اصطياد ضحية جديدة، ثم إنه أوقفها وطلب منها الركوب لأمر ما.

ثم إنه قاد بها إلى الغابة المظلمة وتوقف حين توغل بما فيه الكفاية،

ثم إنه أخرجها من السيارة وأمرها بخلع ملابسها كلها.

ثم إنها حين فعلت، هجم عليها وأمسك برأسها وظل يضربها في شجرة حتى فقدت الوعي، فظن أنها توفيت، فقام باغتصابها ثم لاذ بالفرار تاركًا إياها غارقة في دمائها.

في صبيحة اليوم التالي وجدها الشرطة في غابة بمدينة بايكاليسك غارقة في دمائها، فاقدة للوعي عارية في درجة حرارة ما دون الصفر، ومع ذلك شاء القدر أنها كانت ما تزال حيّة.

وفتحت عينيها في المشفى بمعجزة ما، حيث إنها كيف عاشت لليلة كاملة تنزف في درجة حرارة تحت الصفر!

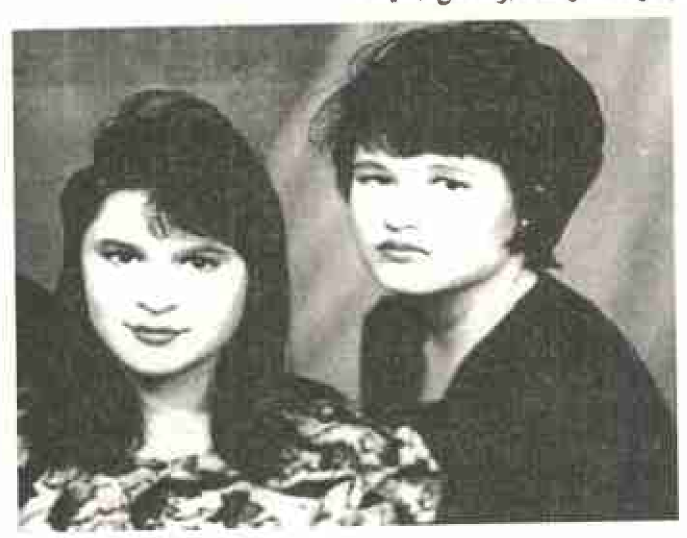
ربما كان هذا أمر الخالق حتى تتسنى لها الإدلاء بشهادتها، وهو ما فعلت بالضبط.

فقد أدلت بشهادتها التي قالت فيها ما جرى بالضبط، والتي ولأول مرة تقوم بتغيير وجهة نظر الشرطة التي كانت تظن أن الجاني أحد العمال أو مهندس في محطات التدفئة أو بعض السائقين، لم يتوقعوا قط أن الجاني هو أحد رجالات الشرطة،

وعلى الرغم من أن الشهادة كانت لتدينه فإن زوجته قدّمت تقارير تفيد ببراءة زوجها وإخلاصه تجاه الشرطة، عرائض زوجته التي قدمتها إلى السلطات برأته تمامًا مما هو منسوب إليه.

كانت سفيتلانا الضحية الصغيرة تخرج من غيبوبة لتدخل في أخرى، حيث إن ما تعرّضت إليه من ضرب على يد بوكوف، ولكنها حين أفاقت للمرة الثانية وتعافت قليلًا وتحت ضغط أمها التي أرادت أن تفتح التحقيق ثانية، تم فتح التحقيق.

وهنا أعطت التفاصيل كاملة عن الشرطي الذي أراد توصيلها ومن ثم قام بالاعتداء عليها، وحين عرضوا عليها صور رجال شرطة المنطقة تعرّفت على الفور على بوكوف، ولكن دفاع زوجته للمرّة الثانية أوقف الإجراءات وتمّت تبرئته من جديد.



في عام 2000م كانت الفتاة البالغة من العمر عشرين عامًا "تاتانيا مارتينوفا" وصديقتها يوليا كوبريكوفا البالغة من العمر تسعة عشر عامًا قد حضرتا للتو حفلًا موسيقيًا في أنجرسك بسيبيريا، بعد إلحاح من أختها الكبرى فيكتوريا لتغيير الجو قليلًا، حيث إن تاتانيا كانت متزوجة حديثًا ولديها طفل رضيع، فقامت بشراء التذاكر لأختها وصديقتها، وأقنعت زوجها أن يتركها تحضر، وكان في البدء رافضًا ثم إنه بعد إلحاح متزايد وافق على حضورها الحفل.

وبالفعل ذهبت الفتاتان للحضور واستمتعتا بالحفل كثيرًا.

ثم إنهما لم تعودا من الحفل، انتهى اليوم ولم تعودا قط، بالطبع أبلغ زوجها السلطات التي وعدت بالبحث عنهما،

في صباح اليوم التالي جاء بلاغ إلى السلطات من أحد الرعاة بالعثور على جثتين في الغابة القريبة لفتاتين شابتين ممزقتين تمامًا،

وكانت الصدمة أنهما نفس الفتاتين المبلّغ عن فقداهما صباحًا.

تقول السلطات إن الفتاتين كانتا ممزقتين تمامًا، إحداهما بجانب الأخرى، مغتصبتين بعنف.

بالطبع انهار زوجها وأختها الكبرى حين أتى الخبر، وحين اتى أخوها من موسكو للتعرّف على الجثث، أصابه الرعب مما رأى، أشلاء فتاتين ممزقتين، هناك شخص مريض قد عبث بهما بتلذذ، اغتصبهما بلا رحمة، ذلك الوحش قد كان يغتصب أشلاء،

يقال إن أخاها لم يتحدث ثانية إلى أحد من هول ما رأى، فقد النطق تمامًا، ثم إنه توفي بعد هذا من آثار ما رأى.

يقول الشهود الذين كانوا في المكان وقت الحادث إن الفتاتين خرجتا من الحفل ثم كانتا لربما في اتجاه أحد المحال لبيع المشروبات لاستكمال السهرة.

ثم إنهما رأتا أن هناك سيارة شرطة توقفت لهما تعرض عليهما التوصيل، ولربما وثقتا به في بادئ الأمر أولًا لتأخر الوقت وثانيًا لأنه شرطي، لم تشكا فيه مطلقًا، ثم إنه اصطحبهما وذهب.

كان الخبر صعبًا على الجميع، الفتاتان ليستا بفتاتي ليل بل إن إحداهما متزوجة ولها ابن، كما أنهما كانتا محبوبتين من الجميع.

في عام 2006م توفيت أم تاتانيا حسرة على ابنتها المقتولة التي قيّدت حادثتها ضد مجهول كالعادة، توفيت بعد أن أنفقت عمرها وأموالها على العرّافين والسحرة تحاول أن تعرف من الذي قد فعل تلك الجريمة الشنعاء، العرّافون والسحرة ونبّاشو القبور والمحققون الخاصون، كلهم فشلوا في العثور على خيط واحد يؤدي إلى مرتكب الجريمة، وماتت أمها بالحسرة.

وكما تجري العادة في مخالفة الشرع، أنزل القدر عقابه على بوكوف متلخّصًا في مرض الزهري الذي نقل له عن طريق إحدى اغتصاباته الشهيرة في عام 2006م، والذي حال بينه وبين الاستمرار في الاغتصاب وممارسة الجنس عمومًا، وكان هو قد ترك العمل في الشرطة ليصير حارسًا خاصًّا ثم يعمل بالتجارة في السيارات.

وعلى الرغم من ذلك استمر بوكوف في أعماله بالخطف والقتل على الرغم من عجزه جنسيًّا بسبب المرض، حتى عام 2010م كان بوكوف نشطًا فيما يفعل، يقوم بخطف الإناث ثم يقوم بقتلهن والعبث بجسدهن ثم يلوذ بالفرار، حتى إنه لّما ضاقت به في مدينته انتقل إلى المدن المجاورة ليستمر في ممارسة نشاطه في الخطف والتعذيب ثم القتل.

ولكن لسوء حظه فقد أذن القدر للمصادفة في مكنونها أن تكشف القاتل الحقيقي الذي لطالما حامت حوله الشكوك.

ففي عام 2013م وعلى سبيل المصادفة، علمت الشرطة أنه لا محالة من الاسمرار في تكذيب الشهود بأن الفاعل هو رجل شرطي، وعلى الرغم من علم الشرطة وقتها في التحقيقات أن الفاعل قد أصيب بالزهري عن طريق إحدى ضحاياه، فإنهم لم يستغلوا هذه النقطة جيدًا، بل تجاهلوها تمامًا، وما جعلهم يبحثون مجددًا عن شرطي سفّاح هو كثرة البلاغات والأدلة من قبل الشهود وضغط أهالي الضحايا على الجهاز لاستئناف التحقيق.

في يوم من نفس عام، قامت جهات التحقيق بالتحليل الدموي والمنوي لأكثر من 3500 شرطي في المدينة نفسها، ولأجل المصادفة فقد لاحظ الطبيب المحلل أن بوكوف ذلك الشرطي السابق مصاب بالزهري، ولأجل المصادفة أيضًا فقد كان التحليل المنوي لبوكوف مطابقًا تمامًا لبعض الحيوانات المنوية التي وجدها جهاز الشرطة بجانب جثة إحدى ضحاياه مما أكد دليل اتهامه بأنه هو من فعلها،

وعليه فقد قامت الشرطة بالقبض عليه من منزله ومواجهته بجرائمه، وتحت الضغط اعترف بوكوف بفعلته تلك في سلسلة من الاعترافات التي يشيب لها الولدان، فهو مع كل تحقيق جديد يعترف ببضع جرائم قتل جديدة.

ففي عام 2017 على سبيل المثال اعترف ب59 جريمة قتل وقاد بعض رجال الشرطة لأماكن دفن ضحاياه بنفسه، بل إن رجال التحري تعجبوا من يد المساعدة التي يمدها بوكوف لرجال التحري في الكشف عن الجرائم.

فعلى سبيل المثال كان بوكوف في الأعوام الأخيرة قد ترك الشرطة وعمل بالتجارة في السيارات، فكان يذهب إلى شرق روسيا ليبتاع السيارات من مدينة فلادوفسك ثم يعود بها إلى مدينته، المسافة بين المدينتين 2500 ميل، وقد وجد رجال التحري الكثير من الجثث التي تخص ضحاياه في الطريق بين المدينتين بعدما اعترف بوكوف.

كانت وَقْعُ الصدمة على زوجته الشرطية وابنته المعلّمة كبيرة فوق الاحتمال، ذلك الأب الشرطي المحترم من الجميع فجأة يصير قاتل محترف مختل عقليًّا، يا لها من صدمة مروّعة جعلتهما تكذبان كل تلك الاتهامات وتصفانها بالملفّقة على الرغم من اعترافه بلسانه بارتكابها.

وهذا ما جعلتهما تصممان على الدفاع عنه لآخر لحظة حتى بعد انتقالهما لمدينة أخرى ليبدآ حياة جديدة بعيدة عن كل هذا، فها هما يقفان في قاعة المحاكمة يدافعون عن بوكوف.

روسيا كما نعلم قد ألغت عقوبة الإعدام منذ عام 1996م، وهذا معناه أن بوكوف سيواجه السجن مدى الحياة في معتقل بعيد على أطراف روسيا حتى يموت، منعزلًا عن الجميع، وربما هذا ما يجعله يكشف كل فترة جريمة جديدة حتى يعاد فتح التحقيق مرّة تلو الأخرى، فهو لا يريد أن يتم ترحيله من السجن إلى المعتقل، يريد أن يؤخر تلك اللحظة لأبعد مدى.

بوكوف حتى عامنا هذا 2018 لم يتم الحكم عليه، وما زال قيد التحقيق، فهو كلّما انتهت جهات التحقيق من تقريرها، اعترف بجريمة أخرى، وهكذا.

حتى تلك اللحظة، أثبتت عليه جريمة قتل واغتصاب 81 امرأة في ثمانية عشر عامًا من ممارسة القتل، وهو يعترف كل محاكمة بجريمة جديدة يهرع لها رجال الشرطة بحثا كلّما لاحت الفرصة لذلك ودائمًا ما يجدون جسدًا متحللًا او بقايا، وهو ما يثبت عليه الجريمة أكثر فأكثر،

يقول بوكوف إنه لولا التقدم العلمي في البحث عن الجينات الوراثية لما كشفه أحد مطلقًا، وأنه وقع بسبب التقدم العلمي، يقولون إن السبب في ارتكاب بوكوف لمثل تلك الجرائم البشعة هي خيانة زوجته له، فقد رُوي عنه أنه كان يجد الكثير من الأوقية الذكرية في صندوق قمامته كلّما اجتمع بالأصدقاء في منزله، ولربما قادته الخيانة تلك للانتقام من العاهرات بشكل كبير، ويقولون إن معاملة أمه له بشكل سيئ في صغره وممارسة الجنس أمامه، ربما كانت السبب هي أيضًا، أما السبب الذي قاله بوكوف بلسانه هو إنه لا يطيق خروج البنات وحدهن ليلًا، يا له من سبب غريب، هنا، رأينا كيف أن الوازع السياسي والاضطراب في هوية القاتل، إلى جانب النشأة والتربية غير السليمة قد سببت فجوة في شخصية ضابط شرطة ماهر في عمله مما أدى إلى اتجاهه للجرائم البشعة تلك.

الإحساس بالضعف وفقدان الهوية كانا سببين رئيسيين في تشكيل شخصية بوكوف القاتلة، وتحوله من الانضباط ومقاومة الجريمة إلى الجريمة نفسها، مما قاده في النهاية إلى السجن مدى الحياة.

***

مجانين دنيبروبتروفسك







الآن نحن أمام سلسلة من جرائم القتل الغريبة، دافع غير معروف ألبتّة لثلاثة شبّان أخذوا من القتل الشنيع لهوًا ومرحًا مارسوه بتلذذ، شباب يقتلون بشتى الطرق غير العقلانية لم يمضِ على وجودهم في الحياة أكثر من تسعة عشر عاما، قاموا بقتل أكثر من 21 شخصًا بدم بارد، تلك الحالة الغريبة التي سنراها معًا لربما أيقظت بداخلك شيئًا من المقت للجنس البشري، فلا الحيوان نفسه يقدر على مثل تلك الفعلة غير الآدمية بالمرّة، بل إن الشيطان يفكّر أكثر من مرة قبل أن يوسوس لبشري بفعل مثلها، تلك الجرائم التي حدثت في تلك البلدة الهادئة في أوكرانيا والتي سنعايشها معًا.

فيكتورساينكو و سوبرانيوك و أليكسندر هانزها، ثلاثة من الشبان الذين لم يتجاوز أعمارهم العشرين بعد، يقطنون في بلدة صغيرة تسمّى دنيبروبتروفسك في أوكرانيا.

كانت بلدة عادية إلى حد كبير، لا تتميّز بشيء اللهم إلا تربية بعض المواشي والزراعة، لم تشتهر تلك المدينة إلا منذ اعام 2007م حينما ظهر هؤلاء المجانين على الساحة.

كانوا الثلاثة أصدقاء، حياتهم في تلك المدينة كانت مملة للغاية حيث لا نشاط يذكر إلا الزراعة وبعض الألعاب المحفوظة، الكثير من الملل والضجر كانا السبب في بداية انحراف هؤلاء الشبّان إلى طريق الجريمة، فكانت أوكرانيا على موعد مع بزوغ نجم القتل في تلك البلدة الهادئة.

في عام 2006م كان الضجر قد وصل بالشبّان الثلاثة إلى حافة الانهيار، لا شيء يفعلونه للتسلية أبدًا، فقط الجلوس والتأمل، ومع مرور الكثير من الوقت ضاق الحال بهم إلى أن أتت في عقولهم فكرة جديدة لقتل الملل.



ساينكو وسوبرانيوك كانا زميلي دراسة في نفس المدرسة، حين بلغا الرابعة عشرة من العمر كانا ضعيفين قليلًا، يهابان المرتفعات كثيرًا وكانت تلك هي نقطة الوصل لاستمرار صداقتهما معًا، وخوفهما من المرتفعات إلى جانب ضعف جسديهما قادهما لمواجهة تلك المخاوف حتى لا يكونا عرضة للمتنمّرين في باحة المدرسة.

وعلى هذا الأساس، نصحهم أحد ما أنه يجب عليهما مواجهة خوفهما من المرتفعات المبالغ فيه، وعليهما أن يجدا طريقة للمواجهة.

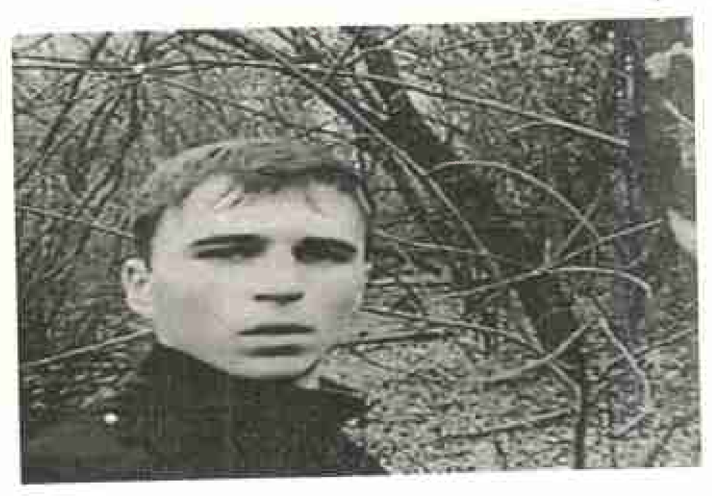
وعليه، توصلا إلى فكرة بأن يربطا نفسهيما في سور شرفة شقة سانيكو التي كانت في الطابق الرابع عشر، متدليين من فوق السور لساعات حتى يقتلا الرعب بداخلهما، وكذا فعلا معًا، حتى إن رُهاب المرتفعات قد اختفى من داخلهما إلى الأبد.

تعرّفا إلى صديق ثالث "هانزها" والذي كان طفلًا شديد الحساسية، يعاني رهاب الدم، حتى إنه كان يخاف أن يُحمم قطته الصغيرة حتى لا يتسبب في حرق جلدها بالمياه الساخنة.

فقرر الصديقان مساعدة صديقهما الثالث في التغلّب على مخاوفه بالمواجهة كما فعلا من قبل، فقاما فاقتاداه إلى الغابة القريبة من المدرسة وقد اتفقوا على خطف كلب ضال، وبالفعل قاموا بخطف الكلب، ثم أقنعوا هانزها بتعذيبه حتى يواجه مخاوفة ويتغلّب عليها إلى الأبد.

بشرع هانزها بتعذيب الكلب بين خوف ورعشة حتى شاركه صديقاه تلك الفعلة الشائنة، كان الكلب يعوي من الألم كلّما عبثوا في جسده أكثر وأكثر، أخرجوا أحشاءه وعبثوا بها، ثم إنهم ما إن انتهوا حتى قاموا بشنق الكلب على جزء شجرة في الغابة، وقاموا بتخليد تلك الذكرى بالتقاط الصور مع الضحية الأولى معًا، التقطوا الكثير من الصور، ضحكوا كثيرًا حتى انتهوا.

مرّت الأشهر وكانوا يوميًا يقومون بخطف الحيوانات الضالة أو المملوكة للبشر، ومن ثم تعذيبها واستفراغ دمائها، بل إنهم كانوا يرسمون بالدماء رموزًا وأشياء غريبة مثل الصليب المعقوف الخاص بالنازية، كما أن سوبرانيوك رسم شارب هتلر بالدماء على وجهه، ثم أدى التحية النازية بشكل مضحك.



يبدو أن هؤلاء الأطفال قد سيطرت الشهوة الدموية على شخصياتهم بشكل عنيف في ظل غياب الأهل في المراقبة والتقويم منذ الصغر، أو ربما لم يدركوا حجم ما وصل إليه أطفالهم من جريمة وتعطّش للدماء نتيجة إهمال غير متعمّد.

مرّت ثلاث سنوات على أوقات اللهو في الغابة القريبة مع أجساد الحيوانات، كانت آخرها كما جاء في فيديو مسرّب طويل للأطفال الثلاثة وقد ساروا بالغين، يقومون بخطف ثلاث هررة بيضاء اللون، ثم يذهبون إلى مرآب فارغ به ثلاثة صلبان خشبية قاموا بنصبها، ثم أتوا بالهررة وصلبوها بدق المسامير في أيديها وأرجلها على الصلبان في طقوس شبه مسيحية وهم يضحكون، ثم أطلقوا الرصاص على الهررة في سعادة بالغة بعد حشو أفواههم بالرغاوى والصابون والغراء حتى لا تصدر أصواتًا تفضحهم.

قام سوبرانيوك بعدها بضرب طفل صغير ضربًا مبرحًا ثم قام بسرقة دراجته وباعها لصديقه ساينكو، تم اعتقالهم لتلك الجريمة ولكنهم خرجوا بعدها لحداثة سنهم على السجن، وكانت هذه هي الجريمة الأولى التي يقومون بفعلها تجاه بشر مثلهم من بني جنسهم.

عندما أنهى الشبّان المدرسة الثانوية وتخرّجوا فيها، وكما هو الحال في أنحاء أوروبا وأمريكا ونظام الدراسة هناك، انجرفوا يبحثون عن عمل يأويهم ويصرفون منه على أنفسهم.

هانزها عمل طاهيًا للمعجنات ثم تركه ليعمل عامل بناء في شركة مقاولات خاصة، عمل مرهق هو.

أما عن ساينكو فالتحق بمهد يدرس علم المعادن في مدينته وعمل بها حارس أمن بدوام جزئي، أما عن سوبرانيوك فقد ظَلَّ عاطلًا عن العمل لفترة حتى أهداه والداه سيارة من النوع "دايو لانوس" فعمل عليها سائق أجرة غير مرخّص، ينقل الزبائن بلا ترخيص ولا أوراق.

كما كنا نقول، فإن الدافع الدموي لديهم كان يكبر مع تقدم عمرهم، وحالة الملل من الحال العام من قبل أعمالهم قد قادهم في النهاية إلى الدموية والقتل بغرض التسلية.

قبلها، استخدم الأصدقاء الثلاثة سيارة سوبرانيوك الدايو الخضراء في تنفيذ أول جريمة سرقة قبل الشروع في القتل، فقد كانوا ينتقون بعض الركاب الذين يقودهم حظهم للركوب مع سوبرانيوك، ثم كان يقود بالضحية لمكان ناءٍ في الغابة القريبة حيث ينتظره أصدقاؤه ومن ثم يقومون بسرقتهم بالإكراه، تخطى الأمر بأن يقوموا بالاعتداء بالضرب على الضحية أو التعذيب النفسي فقط للتسلية.

حتى إن عمليات السرقة تلك لم يكن غرضها المال أو الاحتياج بل على العكس، فقد كانوا يتخلصون من نصف ما سرقوه وربما كله، فقط يقومون بالتصوير والتصوير والتصوير.

كما أن عادة قتل الحيوانات وتعذيبها استمرت معهم حينها، ويبدو أن شغفهم بالقتل والدماء قد سارع بالسيطرة عليهم بشكل مطلق مما عجّل باتجاههم إلى القتل، خاصة بعدما انصرف هانزها عن مشاركتهما تلك المتعة أو الهواية لظروف عمله، فلم يبدأ معهما في قتل البشر، فقط اكتفى

بسرقة رجلين في بداية الجرائم، ثم انسحب نهائيًّا، كان كل شيء يسير بسلاسة حتى عام 2007م.



في عام 2007 تحديدًا في اواخر شهر يونيو الصيفية، كانت هناك امرأة لسوء حظها مارة من جانب هذين الشّابين، وقد كان الملل والضجر قد فاض بهما، وكانا على استعداد لفعل أي شيء.

كانت تلك المرأة هي يكاترينا ايلتشنكو وتبلغ من العمر ثلاثة وثلاثين عامًا، وكانت في تلك الليلة تتناول الشاي مع صديقتها في منزلها

وبالمصادفة البحتة مرّت بجانب الشابين "ساينكو وسوبرانيوك" اللذين كانا يتنزّهان في الحي من الضجر، وكان بحوزة سوبرانيوك مطرقة من الحديد يتسكّع بها.

ثم حين مرّت من جانبهما، التفّ سوبرانيوك من جانبها، ومن ثم قام بضربها على جانب رأسها بالمطرقة، لماذا؟ فقط لأنهما ضجرا.

أخذت يكاترينا الضربة لتسقط أرضًا غارقة في دمائها، ليكملا ضربًا وتهشيمًا بها حتى فارقت الحياة، ثم التقطا صورًا لهما وذهبا.

وهما في طريقهما بعد أقل من ساعة، كانوا على موعد مع الضحية الثانية، كان "رومان تاتيرفتش" نائمًا على كرسي في الهواء الطلق بالخارج، في موقع بجانب مسرح الجريمة، كان نائمًا هنيئًا لا يدري إلى أين يأخذه قدره.

فقط بلا سابق إنذار قفز سوبرانيوك فوقه وضرب وجهه بالمطرقة وهو يقهقه فرحًا، ثم أخرج ساينكو سكينًا وظل يعبث في وجهه، ما بين توسيع فتحات أنفه إلى قطع شفتيه إلى استخراج عينيه، وكذا فعل سوبرانيوك الذي هشّم جمجمته وسحقها بالمطرقة ثم شرع في قطع عضوه الذكري والتمثيل بجثته، ثم قاما بالتصوير كالعادة والضحك، ثم لاذا بالفرار.

في الخامسة صباحًا اكتشفت أم يكاترينا جثتها ملقاة في مكانها مشوهة مهشّمة الجمجمة كما تركوها، أما عن رومان فقد تم تشويه وجهه بقسوة إلى درجة أنهم لم يتعرّفوا على ماهيته حتى تم تحليل الجينات الوراثية للضحية بعدها.



ومن هنا بدأت موجة الجرائم التي كانا يرتكبانها، بدأ تحولهما للجريمة من قتل وتعذيب الحيوانات إلى خطف البشر وتعذيبهم.

لم يمر وقت كثير على تنفيذ الجريمة الثانية، فقط خمسة أيام، حتى تم العثور على جثتين مشوهتين تمامًا لشخصين هما "يفجنيا غريشينكو" و"نيقولاي سيرشوك" اللذين عثر عليهما في بلدة تدعى نوفوموسكوفسك وهي قريبة من بلدهم، كانت الجثتان مشوهتين وتثير الغثيان تمامًا.

يبدو أن شغف الدماء والتعذيب لديهما كان يغريهما بقوة لتنفيذ جرائمهم بشكل سريع، فلم يتوانيا عن تكرارها مرارًا وتكرارًا، كان

سوبرانيوك في العادة يستخدم سيارته الخضراء في خطف بعض الركاب لتنفيذ الجريمة مع صديقه ساينكو، وكانا يقتلان بوحشية ويمثّلان بالجثث أيضًا، ثم لا ينسيا التصوير بصيغة الفيديو والصور.

بعد خمسة أيام أخرى، كان الجندي العائد من الجيش إيغور نيتشفولودا عائدًا من سهرة بأحد الملاهي الليلية إلى منزله القريب، حتى هجم الشابان عليه بالمطرقة والسكاكين على حين غرّة في مناطق متفرّقة من جسده حتى فارق الحياة، ثم قاما بالتمثيل بالجثة ومن ثم تصويرها ثم ألقوها في مبنى ملاصق لشقته، لتكتشف أمه في الصباح الباكر جثّته على هيئتها المهشّمة تحديدًا في شارع بوهدان خملنيتسكي، لم أصف بالطبع حالتها فهي غنية عن التعريف.

في نفس الليلة، كانت "يلينا شرام" وهي حارسة ليلية تعمل في شارع كوسيورا، كانت تسير بمفردها في اتجاههما وتحمل حقيبة ملابس، بعدما فرغا من قتل إيغور، ما إن مرّت حتى أخرج سوبرانيوك المطرقة وضربها فجأة على رأسها فسقطت، فانهالا عليها ضربًا بالمطرفة والسكاكين حتى فارقت الحياة، ثم قام سوبرانيوك بفتح الحقيبة وأخرج قطعة من ملابسها لينظّف بها المطرقة من الدماء، ثم التقطا الصور والفيديوهات وتركاها وذهبا.

بعدما انتهيا منها وذهبا، صادفا امرأة اخرى تسير بمفردها في شارع مجاور، فهاجموها بنفس الطريقة، لتكون المحصّلة هي ثلاثة قتلى في ليلة واحدة.

كانت المرأة تدعى "فالنتينا هانزها" وهي أمٌّ لثلاثة أبناء وزوجها معوق جسديًا، جُن جنون الشابان وتعطّشا للدماء، ويقال إن صاحب أحد مواقع الفيديوهات في أوروبا تواصل مع سوبرانيوك، وطلب منه عدد أربعين فيديو مسجّل لعمليات القتل مقابل مبلغ كبير من المال، وربما كان الثراء السريع هو الدافع وراء جرائم القتل الشنيعة تلك والإصرار على التصوير، ولكن يقال إن عائلتهما كانتا ثريتين ولم تكونا في حاجة إلى المال.

على العموم، توالت الجرائم واحدة تلو أخرى، ففي اليوم التالي قام الشابان باختطاف طفلين بعمر الرابعة عشرة من قرية بودجوررودنوي القريبة من مدينتهما حين كانا الطفلين يتنزهان معًا في رحلة لصيد السمك كما هي العادة في قرى أوروبا.

الطفلان هما أندريه سيديوك وفاديم لاياخوف، هاجما أندريه بالمطرقة وهمّا بمهاجمة فاديم لكنه تمكّن من الهرب في آخر لحظة، أما أندريه فقد قتل كسابقيه بنفس الطريقة الشنيعة.

ثم بعدها بخمس أيام في الثاني عشر من يوليو، اختفى سيرجي ياتزينكو، وهو معوق يبلغ من العمر 48 عامًا، وسبب إعاقته هي نوبة بسبب مرض السرطان، اختفى لمدة تزيد عن الأربع أيام، ثم إنهم وجدوا جثته بعدها، وقد كانت مشوّهة من كثرة التعذيب والتمثيل.



في الأيام التالية استمر القتل على نفس النهج السابق، وكما تقول سجلّات الشرطة فكان القتل يحدث بواقع قتيلين كل يوم لمدة شهر كامل شهر من القتل والتعذيب والتمثيل بالجثث، وكانوا في كل مرّة يزدادون وحشية ودموية عن الحادثة التي سبقتها.

في اليومين اللذين تليا ذلك كانت الشرطة تعثر على جثة جديدة بجانب جثتين أخريين يتم العثور عليهما في نفس اليوم، اثنتا عشرة جريمة حدثت من يوم 14 يوليو حتى 16 يوليو، وقت صغير جدًا على حوادث القتل تلك وكثرتها.

كانت الشرطة أمام معضلة حقيقية، جثث مهترئة تم تمزيقها بقسوة وبعدد غير قليل في اليوم الواحد حتى يخيّل للمتابع أن وحشًا أطلق سراحه، هذه ليست من أفعال البشر أبدًا، ليس بهذه السرعة حتى.

كما أن الجرائم لا رابط بينها وبين الضحايا، فئات العمر مختلفة والأنواع أيضًا ما بين أطفال وعجزة ومشرّدين ومدمني الكحول وحراس الأمن، كما أن الجرائم كانت تزداد وحشية وشراسة في كل مرّة، هم فقط اتفقوا على أن الهجوم دائمًا يكون بمطرقة أو عصا حديدية في الوجه وهو الشيء المشترك الوحيد في جرائم القتل كلها، وكان هذا يزيد من الموضوع صعوبة كون أن الوجه يكون مشوهًا جدًّا فيصعب التعرّف على الضحية.

حاولت الشرطة التكتّم على الخبر حتى لا يتم ترويع المواطنين، ولكن على الرغم من هذا تسرّب الخبر للعامة، وقادهم هذا إلى المكوث في منازلهم في شبه حظر تجوال خوفًا من ذلك الوحش الذي يقتل الناس بوحشية، التزم الجميع منزله خاصة في الليل، وتناثرت الأقاويل عن ذلك السفاح الغامض القادم من كوكب أو بُعد آخر.

أما عن الشرطة فا شرعت في اكتشاف المزيد من الجثث في الأيام التالية.

اثنتا عشرة جريمة وحشية أخرى حدثت في أقل من يومين، وقد ازدادت وحشيتهما جعلتهما يخطفان امرأة حبلى فيدخلان أيديهما في الرحم ليقطعا الجنين من الداخل إربًا، وجعلتهما يقتلعان أعين الأحياء وهم

مازالوا على قيد الحياة، ثم يصوران كل هذا على هواتفهما أو كاميرات الفيديو وهما يشعران بسعادة بالغة.

أما عن متعلقات الضحايا من هواتف نقالة وأموال، فكانا يسرقاها ويرهنان هواتفهم النقالة ومتعلقاتهم الثمينة في متاجر بيع الأدوات المستعملة.

في التحقيق لم تكن الشرطة في المنطقة بالكفاءة الكافية للكشف عن مثل تلك الجرائم الأكبر من إمكاناتهم في الجهاز، حيث إنها في النهاية مدينة هادئة لم تحدث فيها تاريخيًا أي من تلك الأشياء، ففي السابع من يوليو حين خطف ساينكو وسوبرانيوك الطفلين وهرب أحدهما، احتجزته الشرطة "فاديم لاياخوف" في المخفر للتحقيق معه، وقد وجّهت له تهمة قتل صديقه الذي جاء ليبلغ عن قتله من البداية، والشرطة لم تكن قد ربطت بين الجرائم وبعضها البعض وقتها، فقامت بالتحقيق مع الطفل فاديم ويقال إنه تعرّض للضرب وقت الاستجواب، ولكنه في النهاية لم يقتله، حيث إنه جاء ليبلغ السلطات في البداية ولا يوجد دليل واحد ضده، ومن هنا بدأت الشرطة تربط بين الجرائم وبعضها خصوصًا عندما تعاون فاديم معهم، ووصف وجوه الجناة للرسامين، لتبدأ القضية في أخذ منحنى جديد بعدها.

وما أكد الواقعة هو ما حدث بعدها في الرابع عشر من يوليو، حيث كانت سيدة تدعى ناتاليا مارشيك تقود دراجتها النارية من قريتها المسماه "دايوفكا"، وحين أخذت طريق الغابات، خرج عليها شابان بمطرقة وأنبوب حديدي ليقوما بالهجوم عليها بالضرب على رأسها لتسقط من

الدراجة أرضًا، فينهالا عليها ضربًا وضحكًا وتصويرًا، ولكن لسوء حظهما قد رآهما الأهالي هذه المرة، وقد رآهما طفلان عن قرب كانا يخيّمان في الغابة على بعد أمتار منهما، لكنهما حين سمعا الأصوات تقترب منهما، سرقا الدراجة النارية وفرّا بها، حاول الأهالي مطاردتهما لكنهم فشلوا في الإمساك بهما، وحين أتت الشرطة استجوبت الأهالي وأكدوا أنهما شابان، حتى ان الطفلان قد أعطيا أوصافًا لشكليهما عن قرب جاءت متوافقة مع ما أدلى به الطفل "فاديم لاياخوف" ليتأكد لهم أنهم أمام قتلة متسلسلين يستهدفون الأهالي والسكان، وهنا تدخلت الدولة بقوة في التحقيق، فقامت الدولة بتشكيل فريق جنائي مُكوّن من **2000** محقق في كييف العاصمة برئاسة المحقق فاسيلي باسكالوف، وقام باسكالوف بالتوسّع في التحقيق ليشمل غالبية المدن المجاورة والبعيدة في التحقيق.

قامت الشرطة بتعزيز البحث أكثر وأكثر على الرغم من إبقاء التحقيق قيد الكتمان، ولكن حينما تسرّبت الأخبار، قامت الشرطة بتوزيع رسومات الجناة على السكان في المدينة، وأيضًا قامت الشرطة بتوزيع نشرات بالمسروقات على تجار الأدوات المستعملة في المدينة والمدن والقرى المجاورة.

***



جاءت التحقيقات بالإيجاب أخيرًا، وظهرت قائمة المسروقات وانحصرت في متاجر حي لينينسكي في مدينة دنيروبتروفسك، ومن خلال حصر المشتبة بهم تمكّن رجال التحقيق من التوصل أخيرًا لماهية الفاعلين الشبان وأسمائهم، وما هو إلا بعض الوقت حتى ينصبوا لهم الكمين للقبض عليهم.

حددت جهات التحقيق من خلال البحث المكثّف ثلاثة من المشتبه بهم، وهم: فيكتور ساينكو وإيغور سوبرانيوك وأليكسندر هانزها.

وتم وضعهم تحت المراقبة، واختيار الفرصة المناسبة لاعتقالهم بعدما تأكد لجهات التحقيق أنهم يتطابقون مع الوصف الذي أقر به الشهود.

في اليوم الثالث والعشرين من يوليو عام 2007م، كان سوبرانيوك بداخل أحد متاجر المستلزمات المستعملة، يحاول بيع هاتف جوّال يخص

أحد ضحاياه أو رهنه ب150 هريفنا "عملة أوكرانيا" وكان بصحبه ساينكو الذي كان ينتظره بالخارج، ومن ثم باغتتهم الشرطة بداخل المتجر وتم إلقاء القبض على ساينكو من خارج المتجر وسوبرانيوك من أمام المسجل النقدي، أما عن هانزها فقامت الشرطة باقتحام مترله بغرض القبض عليه، وحين شعر هانزها بالخطر قام بجمع الهواتف النقّالة التي كانت بحوزته والتي سرقوها من ضحاياه ونجح في إغلاق باب المرحاض عليه بالداخل وشرع في إغراق الهواتف في داخل المرحاض نفسه، بالطبع قامت القوات باسترجاع الهواتف مرّة ثانية بعد القبض عليه ولكنها كانت قد فسدت جرّاء إغراقها في المياه مع حذف جميل البيانات من داخلها،

قامت الشرطة بتوجيه الاتهام للثلاثة في 29 جريمة منفصلة، منها 21 جريمة قتل وثمانية حوادث سرقة بالإكراه وسطو مسلّح إلى جانب قضية واحدة متعلّقة بالقسوة تجاه الحيوانات، أما عن هانزها ثالثهما فقد تم توجيه قضيتين سطو مسلّح له فقط حيث إنه لم يشاركهما القتل.

حين تمت مواجهة المشتبه بهم بالجرائم، اعترفوا سريعًا بما فعلوا كما لو كانوا مستمتعين أو متوقعين التهمة، وعليه فقد تم تحويل قضيتهم المعروفة إعلاميًّا بمجانين دنيبروبتروفسك إلى المحكمة للبت في القضية،

وفي يونيو عام 2008 تمت أولى جلسات القضية، وفيها أنكر سوبرانيوك كل الجرائم بطلب من المحامي الذي وكلوه وقتها فيكتور تشيفجاز بالرغم من اعتراف الباقي وإصرارهم على الاعتراف، ثم حاول المحامي في الجلسات التالية اللعب على قدراتهم العقلية وتوجيه الأصابع إلى الجنون، وأنهم غير مدركين ما كانوا يفعلون، إلا أن الشهود أكدوا في

شهاداهم أنهم كانوا أكثر حيطة وحذر في اختيار وتنفيذ الجرائم وهذا ينفي عنهم الجنون، حيث إنهم مدركون تمامًا لجرائمهم ويخططون لها.

فقام المحامي فيكتور تشيفجاز بالاعتذار عن القضية تمامًا بعدما فشلت خطته في إيهام المحكمة بجنونهم.

ما أثبت الجريمة عليهم أدلة كثيرة، أولها بالطبع بقع الدم التي كانت على ملابس المتهمين والتي كانت تخص بعض الضحايا بالتحليل.

وثانيها هي الفيديوهات والصور، وقد قام المدعي العام بعرض فيديو من فيديوهاهم التي كانوا يقومون فيه بالاستمتا ع بالقتل مع التصوير، كان فيلمًا بشعًا جعل كل من في المحكمة يشعرون بالغثيان جرّاء بشاعة المنظر.

كما أن سوبرانيوك قام بفعلة غبية، حيث إنه أرسل فيديو قبل القبض عليه من إيميله لصديق له ليتفاخر عليه بالشجاعة أو لغرض البيع، فقامت السلطات بتتبعه لتقودهم إلى سوبرانيوك نفسه في النهاية.

المحامي الجديد قام باللعب على ثغرات القانون كحال كل المحاكم على مستوى العالم، القانون دائمًا ما يكون به بعض الثغرات في إجراءات التنفيذ والادعاء والاهام نفسه.

فقام المحامي وقتها بإنكار ماهيات الأشخاص التي كانت في الفيديوهات وادعى أن هؤلاء في الفيديو ليسوا نفس الأشخاص، ثم إنه شكك في التحقيق واهم الجهات المعنية بالتحقيق بالتلاعب وإضافة عشر جرائم على الأقل على القضية تخص أشخاصًا مهمين وذوي نفوذ في الدولة، محاولًا

قلب مجريات القضية لصالح المتهمين وتوجيه الرأي العام إلى المحسوبية والظلم والفساد.

ثم انفرد بذكر بعض الأسماء التي وجهت لهم النيابة شبهة من قبل ثم أفرجت عنهم وهم من كبار الدولة، فأعادت المحكمة النظر في القضية برئاسة القاضي إيفان سايشنكو.

أما عن النيابة العامة فطالبت المحكمة بتوقيع تهمة السجن مدى الحياة لساينكو وسوبرانيوك حيث إن الإعدام ألغى دستوريًّا من أوكرانيا منذ عام 2000م، وطالبت بخمسة عشر عامًا على هانزها.

إما عن وسائل الإعلام المحلية فقد ذكرت حينذاك أن المتهمين لهم أهل أثرياء وذوو نفوذ هم أيضًا؛ ولهذا فالمحكمة أطالت النظر في القضية كثيرًا، فوالد سوبرانيوك "فلاديمير" كان طيار اختبار في شركة يوجمش لتصنيع الصواريخ، وأنه كان على علاقة وطيدة برئيس أوكرانيا ليونيد كوتشما، وأنه توسط له لتبرئته، كما أن والد ساينكو يعمل محاميًا، وكان هو الموكل بالدفاع عن ولده في القضية، ولكن السلطة المحلية متمثلة في نيقولاي كوبيانسكي نائب وزير الداخلية نفى كل هذا، وقال إن عائلاتهم فقيرة، وليست على علاقة كبرى بالحكومة، وإن العدل سوف يأخذ مجراه.

في 18 أغسطس 2009، أحالت المحكمة العليا في أوكرانيا القضية إلى محكمة الاستئناف الإقليمية في دنيبروبيتروفسك. وقد رحَّب إيغور ساينكو بهذه الخطوة، وذكر أنها كانت خطوة نحو إزالة اسم ابنه. وفي حديثه في مؤتمر صحفي، كرر إيغور ساينكو وفلاديمير سوبرونيوك اعتقادهم بأن

القضية كانت تستند إلى أدلة ملفقة. وقال متحدث باسم مكتب المدعي العام إن القرار بإحالة القضية مرة أخرى إلى محكمة الاستئناف أمر إجرائي، وإنهم على ثقة من أنه سيتم التمسك بالحكم.

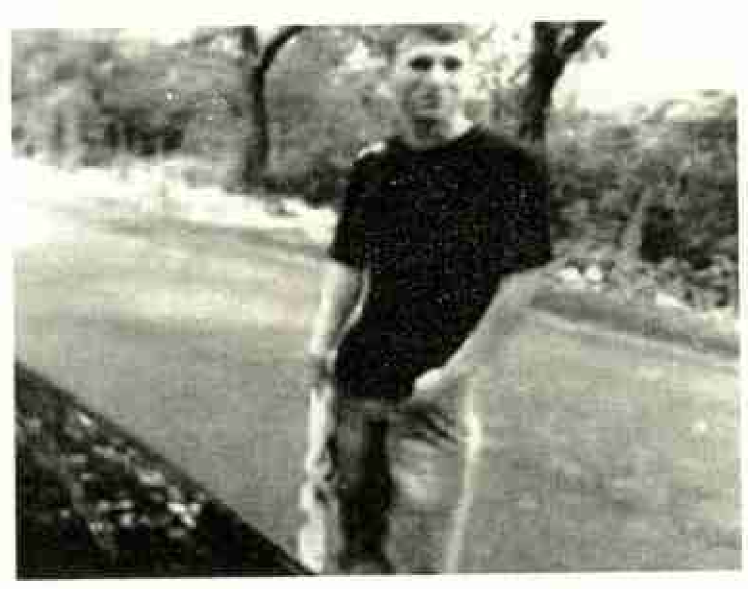
كان من المقرر استئناف الاستئناف في 5 أكتوبر 2009 في مقابلة مع صحيفة نوفي موست، قالت أمًّا سوبرونيوك وسينكو إن طفليهما يُعاملان جيدًا في السجن. كما ذكر أن إيغور ساينكو كان يفكر في إنشاء موقع على شبكة الإنترنت حول القضية.

وفي 24 نوفمبر من عام 2009م، أيدت المحكمة العليا لأوكرانيا الأحكام المؤبدة التي صدرت على إيغور سوبرونيوك وفيكتور ساينكو في فبراير 2009. ولم يستأنف ألكسندر هانزها عقوبة السجن لمدة تسع سنوات.

من المفترض أن يتم الإفراج عن هانزها هذا العام 2018م، ولكن بالرغم من شهرة القضية عالميًا، واشتهار اسم المدينة على مستوى العالم بسبب تلك الجريمة، فإن الدافع الذي قادهم لتلك الفعلة يظل مجهولًا إلى الآن، لماذا كانوا يقتلون؟

يقول أحد أصدقاء سوبرانيوك إنه كان يحلم بالثراء السريع، وأنه اتفق مع أحد ملّاك مواقع عرض الفيديو في أوروبا فيما يسمى بالإنترنت العميق أو الديب ويب على إرسال عدد أربعين فيديو مصوّر لقتل الضحايا في مقابل مبلغ مليون دولار، ولكنها تظل تكهّنات فهم كانوا كتومين كثيرًا ولا يعرف أحد شيئًا عنهم وعن جرائمهم، ربما كما قالوا من قبل، هو ملل

الصيف الذي قادهم إلى القتل، سيكولوجية القتل هنا تقف عاجزة عن البحث وراء الدافع الحقيقي لارتكابهم تلك المجازر بهذه الوحشية، وتظل تلك القضية من القضايا المحيّرة في تاريخ القتل المتسلسل.



***



رمضان التوريني







من أكثر الجرائم بشاعة في تاريخ الجريمة في الشرق الأوسط، هي تلك الجريمة التي هزّت أوساط الإعلام والشارع المصري في عام 2007م، جريمة يندى لها الجبين، ألا وهي قتل الأطفال واغتصابهم، بالفعل كما قرأتَ الآن، قتل متسلسل يستهدف الأطفال وخاصة أطفال الشوارع الذين لا مأوى لهم من مخاطر الشارع ولا أهل لهم، والذين من المفترض أن تهتم بهم الدولة كونهم من المواطنين، وإن كانوا بلا هوية، ولكنّهم كانوا للأسف بلا حامٍ أو حائط يحتمون منه غدر الزمان على قلوبهم الصغيرة، فكانوا على موعد مع عصابة يتزعّمها مريض نفسي مصاب بالبيدوفيليا والشذوذ الجنسي، ويقتات على دماء الأطفال الصغار بل يقتلهم بعدما يأخذ منهم براءتهم بكل جراءة فوق القطورات السريعة بلا هوادة، إنه رمضان التوربيني.

كان رمضان عبدالرحيم منصور أو التوربيني مجرّد شاب يافع، فقير كما هو حال البعض، الفقر هو كما نعلم إما بداية للجريمة، وإما البداية الصحيحة للوصول إلى المجد، ولكنه هنا كان البداية لمستقبل قاتم قاد هذا الشاب إلى القتل الوحشي تجاه الأطفال،

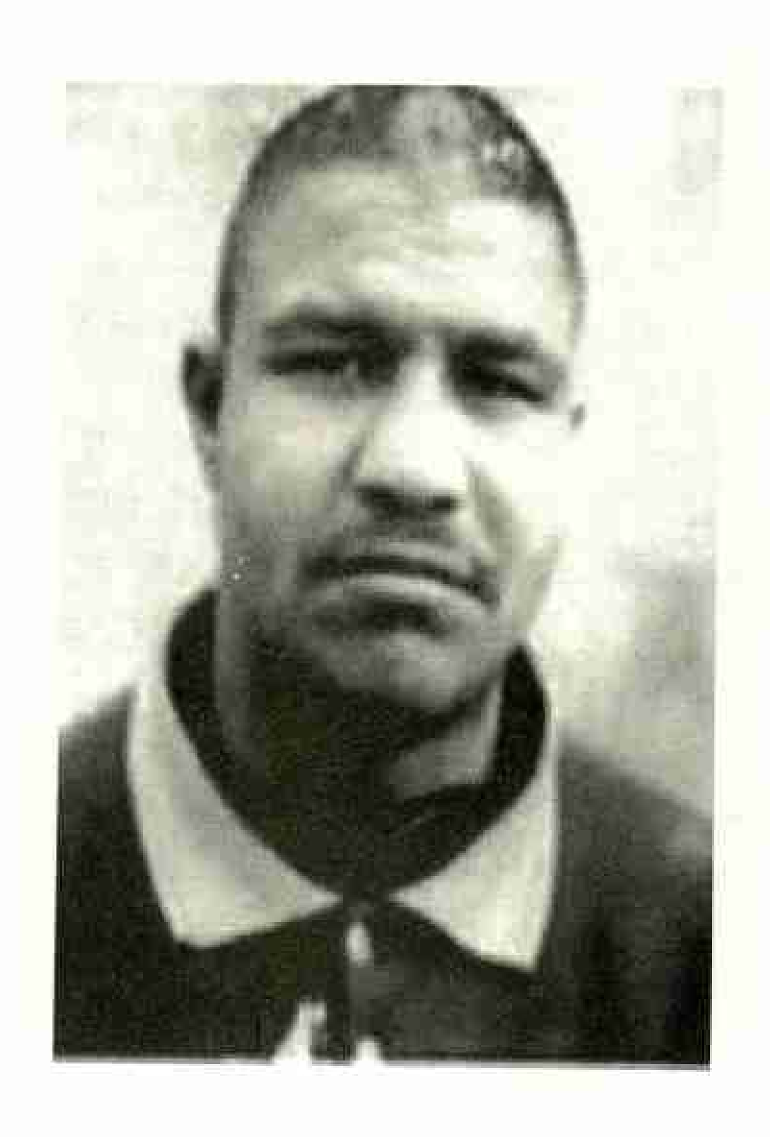
طفل صغير لم يتجاوز العقد من العمر، تضطّره الظروف واضطهاد الأهل وفقرهم إلى النزول إلى الشارع الذي لا يعرف الرحمة للعمل وهو في تلك السنين الصغيرة.

وكما نعلم جميعًا، فالشارع المقفر لا يرحم طفلًا ولا امرأة، فقط الشدّة في التعامل مع الكل، وهو ما واجهه رمضان في طفولته التي كان من المفترض أن تكون طفولة كأي طفولة، مليئة بالاستكشاف واللعب.

فقاده مصيره إلى إحدى كافيتيريات محطة السكّة الحديدية الرخيصة ليعمل بها، تارة ينظّف الواجهة، وتارة يغسل الأقداح المتّسخة بالفعل، وحاول ذلك الطفل بكل جهده أن يكسب قوت يومه من عرقه بدون أن يحتاج إلى أحد.

ولكن الزمان كان غادرًا به، ولم يرحمه في طفولته، فأوقعه حظه العثر في بلطجي المنطقة والذي يسمّى "عبده التوربيني" الذي سوف يستعير رمضان اسمه بعدها.

كان عبده التوربيني بلطجي الناحية، يقتات على قوت من يعملون في أقل المهن وقارًا ومكانة اجتماعية، يستخدم البلطجة كوسيلة للسيطرة على معظم الأطفال العاملين، كان يفرض على الأطفال الإتاوة غصبًا من كدّهم وعملهم اليومي، وكان من ضمن من فرضت عليهم الإتاوة هو الطفل رمضان.



كانت نفس رمضان في تلك الأيام عزيزة عليه، طفل صغير يتحسس جدران الدنيا مطلوب منه الإنفاق على اخوته وأهله بلا هوية أو مأوى، تكرر الأمر مع المعلّم عبده التوربيني فكان يعتدى بالضرب على رمضان ويأخذ منه نقود عمله اليومي بالغصب.

فما كان من رمضان حينما فُرضت عليه الإتاوة من المعلّم عبده التوربيني إلا أن رفض في مرّة أخيرة ولحظة شجاعة أن يعطيه شيئًا، بل زاد الأمر عليه أن طالَبه باسترداد ما أخذ من أموال على مدار الأيام.

فشعر المعلّم عبده التوربيني بالإهانة والصفعة على وجهه المليء بالندوب وآثار المعارك السابقة وآثار الزمن.

فما كان منه إلا أن وافقه وطلب منه أن يتبعه في اتجاه محطة القطار المهجورة حتى يعطيه المال الذي طلبه بالكامل.

تبعه رمضان بحسن نيّة لعلّه يسترد ما أخذ من مال، ولكن ذلك المعلّم الفاسد كان يعد له العدّة.

فما إن وصل رمضان، حتى أخذه المعلّم عبده فوق سطح أحد القطارات عنوة، ثم إنه قام بتعريته بالكامل، وقام باغتصابه وهتك عرضه في قسوة.

ثم ما إن فرغ من فعلته حتى ألقاه من فوق القطار فوق القضبان الحديدية ليقتله.

ولكن شاء القدر أن نجاه الله من الموت المحقق لغرض في نفس خالقه، فكانت تلك هي نقطة التحوّل في حياته المليئة بالصراعات والجرائم.

فبعد أن ظل رمضان ينزف الليل كلّه وهو بين الحياة والموت، يحاول أن يلملم ما بقي من كرامته التي أهدرها ذلك المعلّم الوحشي حين كان يقوم باغتصابه، تم نقله لمشفى عام حيث استطاع أن ينجو جسمانيًا من تلك الفعلة، فيما عدا حول دائم في عينه اليمنى، وقطع غائر في وجهه سيظل ملازمًا له طوال حياته إلى جانب قطع في البطن والساق اليسرى نتيجة ارتطامه بالقضيب الحديدي من علو يصل إلى أربعة أمتار أو يزيد،

مكث رمضان في المستشفى قرابة شهر أو يزيد لتلتئم جراحه الظاهرية، ولكن نمت بداخله أولى مشاعر الانهزامية والرغبة في الانتقام التي سيطرت على مشاعره وتحكّمت فيه كاملة.

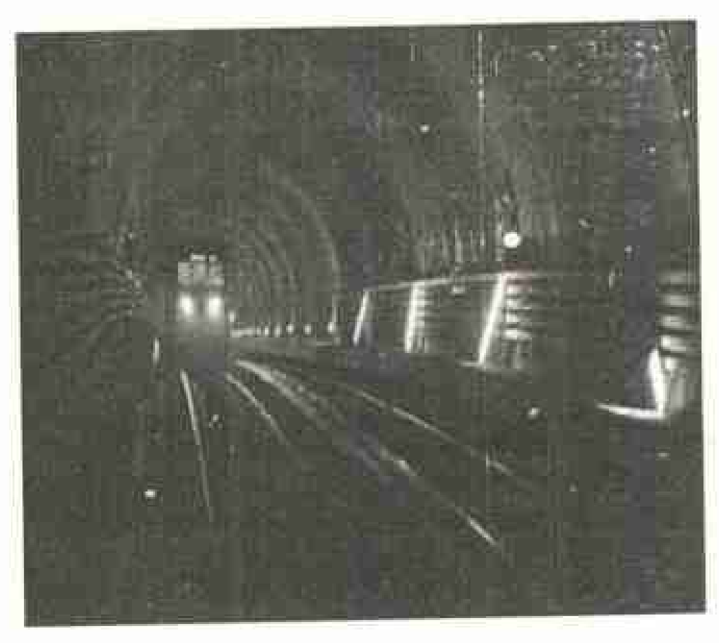
أما عن عبده التوربيني، فقد تم سجنه جرّاء فعلته تلك لفترة قصيرة، خرج على إثرها سريعًا لتنتهي حياته في حادثة سيارة، وكأنها لم تبدأ من قبل، انتهت فجأة كما لو كان قد انتهى دوره باغتصاب رمضان فقط.

أما عن رمضان، فقد كان يعاني الأمرين، مرارة الحادثة وتبعات أزمتها النفسية.

كان رمضان في سنواته اللاحقة منعزلًا عن العالم، مسيطرًا عليه الحزن والكآبة والانخراط في البكاء نهارًا وليلًا، حتى إنه حاول الانتحار كثيرًا

وفشل، كطفل في عمره، نفسه ملأى بأخاديد من الأحاسيس الغريبة ما بين الحزن والدونية والرغبة في الانتقام.

وقد واجه كل هذا بنفسٍ انعزالية، إما في المستشفى حين كان يتعافى، وإما في الشارع حيث كان مأواه الوحيد، بلا أهل مكترثين أو أصدقاء جادين، فقط الشارع كان الملاذ والمأوى، ولم تشفع حادثة مقتل المعلّم عبده التوربيني نفسه التي كانت قد مرضت بالفعل، ورويدًا رويدًا تحوّل رمضان من صبي يعمل بكدٍّ كي يأتي بقوت يومه، إلى مراهق ذي ميول شاذة انتقامية من المجتمع والناس.



وكما بدأت حياة رمضان التوربيني في الانحدار حين تم اغتصابه فوق سطح قطار ما، فقد قرر رمضان أن يستكمل مسيرة المعلّم عبده من بعد وفاته، فوق أسطح القطارات أيضًا.

ترعرع رمضان الذي صار "رمضان التوربيني" بعدها ليفرض سيطرته على عالم أطفال الشوارع، فقد كان ضخم البنية بلطجيًّا شديد المراس، كان حرفيًّا يستكمل مسيرة مغتصبه الإجرامية حيث فرض سيطرته على الأطفال ليجمع الأموال منهم، كما كان يفعل حين كان طفلًا مثلهم.

في البداية، كوّن التوربيني عصبة من أطفال الشوارع ليستطيع فرض سيطرته بالكامل.

تكوّنت العصابة من بعض المراهقين التالية أسماؤهم: حناطة، السويسي، بزازة، بوقو والجزار.

وكانت مهمة تلك العصابة هي جمع الأموال من الأطفال الذين يعملون في شتى المهن بالشارع من التسول والمقاهي وخلافه، ثم كانت لهم مهمّة أخرى ألا وهي استدراج الأطفال، فكانت العصابة تحدد هدفًا مكونًا من طفل بعينه من المتسولين أو ساكني الشارع.

ثم يستدرجونه نحو محطة القطار بدعوى التنزّة فوق سطح أحد القطارات المتحرّكة، ثم ما إن يصطحبوا الطفل ويصعد فوق سطح القطار حتى يجد رمضان التوربيني في انتظاره، فيقوم بالتهجّم عليه وتقييده ومن ثم اغتصابه بقسوة، اغتصابه عدّة مرات مع التلذذ بتعذيب الطفل المخطوف،

لم يكن يرحم أحدهم قط، لا بكاء ولا تقبيل الحذاء كان يمنعونه من ممارسة جريمته التي تلذذ بها انتقامًا من المجتمع، ثم ما إن يفرغ هو وعصبته حتى يهم بإلقاء الطفل فوق القضبان المتحركة أمام قطار عكسي متحرّك، فتتحول الجثة في لحظة إلى أشلاء نتيجة التصادم مع القطار المسرع القادم بلا هوادة، كان القطار القادم يسحقهم تمامًا، تتناثر بقاياهم ما بين لحم وعظام هنا وهناك، اختفت ملامحهم تحت عجلات القطار المسرع ليخفي أثر الجريمة الشنيعة التي ارتكبها رمضان، في حين أن ركّاب القطارين لا يدرون أبدًا ما يحدث على السطح، يتلذذون بالرحلة والمشروبات الباردة ولا يدركون أن فوقهم بأقل من متر واحد تحدث جريمة قتل واغتصاب، كان رمضان يحب اسم التوربيني تيمّنًا بالقطار الإسباني "التوربيني" السريع الذي كان منخفضًا قليلًا عن باقي القطارات وبه مساحة تمكّنه من ممارسة ما يريد بلا خوف، وكذا أسماه اصدقاؤه من باقي أفراد العصابة، في بعض الجرائم، كان التوربيني يقطع أطراف الطفل بعد اغتصابه ليتلذذ بشعوره بالألم، بل كان يزيد ذلك من نشوته، بكاؤه وصراخه كانوا يزيدونه نشوة فيكثر من الإتيان بالاغتصاب.

كان يعبث في أجساد الأطفال بالسكين، وكان أفراد العصابة الصغيرة يشاركونه تلك اللذة ويقومون بالاغتصاب أيضًا، ثم ما إن ينتهوا حتى يلقونه من فوق القطار كالعادة.



استمر التوربيني في جرائمه بمعاونه أصدقائه ليلة بعد ليلة، ومرة تلو الأخرى كان يستمتع أكثر وأكثر، كان الشارع هو مسكنه ومأواه ومسرح جريمته.

في إحدى الليالي، دخل أحد المتسولين الصغار ويدعى "محمد كمال" إلى أحد أنفاق المترو ليبيت ليلته كما هي عادة أطفال الشوارع حين يبحثون عن أي مأوى للمبيت، ولكن لأجل سوء حظه كان التوربيني وعصابته يبيتون في ذلك النفق في تلك الليلة التعيسة هم أيضًا، فما إن رأوه يدخل عليهم ليبحث عن مكان للنوم حتى طاردوه وأمسكوا به،

ثم قيدوه جيدًا وأخذوا ما معه من جنيهات، وأمرهم التوربيني أن يقوموا باغتصابه أمام عينه.

ففعلت العصابة واحدًا تلو الآخر في استمتاع وتحت أعين زعيم العصابة "التوربيني" الذي كان يشاهد توسلات محمد كمال وبكاءه وأوجاعه في تلذذ.

ثم ما إن فرغوا من اغتصابه، حتى أمرهم التوربيني أن يتركوه بمفرده مع محمد كمال، وكان قد أُنهك كثيرًا.

فشُرع التوربيني في اغتصابه هو أيضًا بوحشية، كان يسبّه، يضربه، يقوم باغتصابه وهو يضحك في استمتاع.

ثم ما إن فرغت شهوته، حتى التقط حجرًا كبيرًا من الأرض وشرع يهشّم جمجمته الصغيرة حتى لفظ أنفاسه الأخيرة وتشوهت ملامحه، ثم قام بعدها بالحفر داخل النفق وألقى بجسد الصغير في الحفرة، ومن ثم غادر وعصابته المكان.

لم يكن التوربيني ذا مستقرٍ في محافظة ما، فكان يتنقّل بين ست محافظات على مدار ثلاث سنوات يمارس جرائمه على الأطفال ويسرق أموالهم ثم يقوم باغتصابهم ومن ثم قتلهم، وكان يغيّر من طرق القتل، فكان تارة يلقون الطفل من أعلى القطارات، أو يقومون بأغراقه في الترع والمصارف، أو يهشّمون رأسه بلا ذرّة ضمير حية بداخلهم.



في إحدى الليالي المظلمة، كان التوربيني وعصابته على عادتهم يبحثون عن طفل من الشارع ليستدرجوه ثم يقوموا باغتصابه وقتله كما جرت العادة، وبالفعل وجدوا مرادهم في طفل صغير من المتسولين في إحدى المحافظات وكان يدعى " أحمد ناجي"، فقاموا بمحاولة استدراجه في خرابة مظلمة، ثم ما إن حاول التوربيني أن يغتصبه حتى قاوم أحمد ناجي، وقام بالرفص حتى استطاع أن يفلت من قبضة التوربيني لأول مرة في تاريخه الإجرامي، وركض هربًا حتى أفلت منهم، عندها، توجَّه أحمد إلى قسم الشرطة للإبلاغ عن محاولة التوربيني هتك عرضه هو وعصابته، واستجابت الشرطة لذلك البلاغ وقتها وأعدت الكمين وتم القبض على رمضان التوربيني وتم احتجازه لفترة قليلة بتهمة محاولة هتك عرض طفل، ثم ما لبثت حتى أفرجوا عنه، وحين تم الأفراج عن التوربيني بعد أيام من الحبس، أمر عصابته بتكثيف البحث عن ذلك الطفل "أحمد ناجي" الذي أبلغ عنه السلطات للانتقام منه.

وبالفعل، قامت العصابة بالبحث عنه في كل مكان في المحافظة لعدّة أيام، حتى قادهم البحث للعثور عليه أخيرًا، حينها، استدرجوه بلطف نحو محطة القطار بغرض التنزّة وشراء الطعام له، واستجاب أحمد ناجي بحسن نية وتبعهم، ثم ما إن وصل إلى محطة القطار حتى وجد رمضان في انتظاره، وهذه المرة لم يستطيع الإفلات من قبضتهم بعدما طوّقوه جيدًا، فرح رمضان كثيرًا بهذا الصيد الثمين فذلك الطفل قد عرّضه للحبس والاحتجاز والإهانة في قسم الشرطة، وأصبح الثأر شخصيًّا، أمر التوربيني

عصابته بالاحتفال به، وقد كان، أسوأ جرائم التوربيني شناعة، حيث استمروا في اغتصابه لمدة تزيد عن الثلاث ساعات، كانوا إذا فرغوا بالتناوب يتقدم أحدهم للاستكمال، اغتصابًا وضربًا، حتى أن الطفل كان ينزف دمًا كثيرًا وقد بُحّ صوته من الاسترجاء والبكاء والخوف والتعب، قام التوربيني وحده باغتصابه عدّة مرّات في تلذذ وفرحة، ثم ما إن أنهكهم التعب وفرغوا من اغتصابه، حتى أمر التوربيني عصابته بتكميم عينيه وتقييد قدميه وذراعيه جيدًا، ثم حمله التوربيني على كتفه وصعد به فوق صهريج مياه مهجور يبلغ ارتفاعه ثلاثين مترًا، وبالرغم من تحذير أفراد عصابته عن الإقدام على تلك الفعلة فإنه لم يستمع لهم، كان يريد الانتقام إلى أقصى حد، ثم حين وصل التوربيني إلى القمة، ألقاه من فوق الصهريج على الأرض من فوق ثلاثين مترًا مقيّدًا معصوب العينين، ليسقط الطفل أحمد مهشّما تمامًا، جثة متناثرة هامدة، وما إن رأى التوربيني ما فعل حتى هدأ وتملكته السكينة، فقد فعل ما كان يستحقه ذلك الطفل في حسابات التوربيني، وقد انتقم منه شر انتقام.

استمر التوربيني في جرائمه شهورًا وأعوامًا تلو الأعوام، يخطف أطفال الشوارع ثم يقوم باغتصابهم بمعاونة أفراد عصابته التي عمل على تكوينها من المراهقين والمجرمين، ولم يكشف أمرهم قط على مدار سنوات عملهم في اغتصاب الأطفال وقتلهم.

ولكن كانت للمصادفة رأي آخر، ففي يوم من الأيام تعطّل قطار شبرا الخيمة لبضع دقائق، فما كان من عمّال الصيانة إلا أنهم قد ذهبوا إلى

قضيب القطار ليعالجوا مشكلة العطل، وحين شرعوا في العمل عليه فوجئوا بوجود عظام بشرية تخص طفلًا في أحد الأركان.

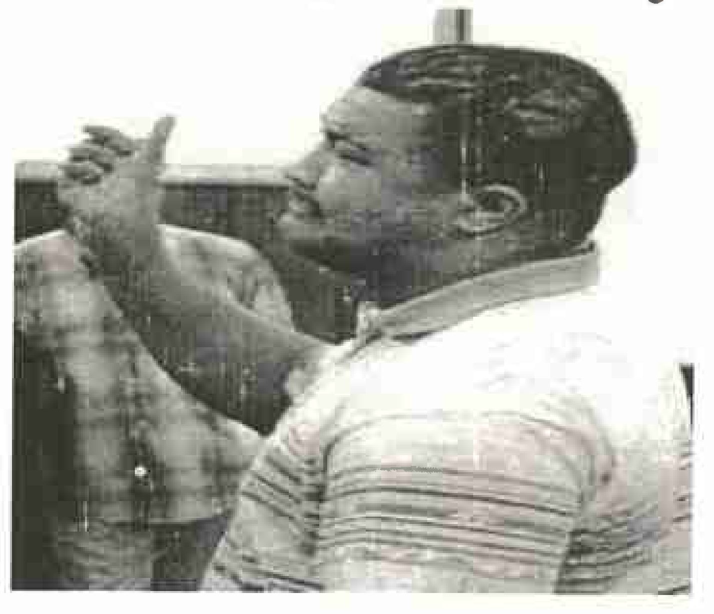
انتشر الخبر بين رواد المحطة وذهب الطب الشرعي للبحث وراء القصة، وكان الأمر سيمر مرور الكرام لولا أنه وبعد مرور أيام عثر عمال القطارات في طريق السكة الحديد في الإسكندرية على بقايا عظام طفل آخر، ثم بعد يومين عثر العمّال على عظام وبقايا طفل ثالث في محطة قطار طنطا.

ثم توالت المكشوفات، واستشعر الأمن المصري خطورة الموقف فقام بتكثيف الجهود للبحث بطريقة أكبر وأوسع انتشارًا في جميع محطات القطارات على القضبان، فتم استخراج أكثر من اثني عشرة جثة لأطفال في مناطق متفرّقة، حينها أدرك الأمن خطورة الموقف، وأنهم أمام قاتل متسلسل يستهدف أطفال الشوارع، وانتشر الخبر في أرجاء الدولة من مؤسسات لأجهزة اعلام لمنظمات محلية ودولية، وكانت بمثابة الصدمة للمؤمنين بقدرة أجهزة الأمن في تدارك الجرائم قبل وقوعها كما كان المعلوم عن أجهزتها قبلها.



عمّ الخوف أرجاء البيوت خاصة القريبة من محطات القطارات في مصر، ومنع الأهالي أطفالهم من اللهو وحدهم في الشوارع والحارات، وعم الرعب أرجاء المعمورة خوفًا من اختطاف أطفالهم كما حدث مع غيرهم من قبل، عندها كثّفت الشرطة جهودها للبحث وراء تلك القضية التي سارت بين ليلة وضحاها قضية تهز المجتمع المصري أو قضية رأي عام، وسخّرت لتلك العملية آلافًا من رجال الشرطة والمباحث ورجال المعمل الجنائي وخلافه، وهاجمت المئات من أوكار المتسولين وأماكن البغاء

والمخدرات، وشنّت حملة اعتقالات واسعة تجاه المتشردين والمسجّلين سرقة وتشرد وخلافه، وأقامت تلك الحملة على كل محافظات مصر حتى تستطيع كشف ملابسات تلك القضية الغريبة وقتها،



كان من ضمن المعتقلين في تلك الحملة الموّسعة التي ضمّت المئات من المتسولين والمتشرّدين هو الطفل "أحمد سمير" والملقّب ببوقو، عمره ستة عشر عامًا، كان بوقو أحد أفراد عصابة التوربيني الصغيرة، وكان ذراعه اليمينى كما كان يلقّبه التوربيني، ولكن حدث في الأمر جديد حين اختلفا، حيث إن بوقو كان على علاقة بفتاة من فتيات الشوارع والتي تلقّب ب"عزّة بربش"، تلك الفتاة كان قد تزوجها التوربيني عرفيًا، وحين علم بعلاقة بوقو بعزّة بربش زوجته أقسم على قتله وطارده، مما قاد بوقو

للهرب من بطش معلّمه التوربيني خوفًا من القتل، ولكن حظه العاثر قاده للاعتقال على يد قوات الشرطة.

وحين اقتيد بوقو للتحقيق، وبين مجريات التحقيق في مكتب المباحث، أخبر بوقو الضابط المكلّف بالتحقيق معه ووكيل النيابة محمد الشرباسى أنه يطلب الحماية من المعلّم التوربيني لأنه يريد قتله.

وحين سأله الضابط عن السبب، أخبر الضابط بكل شيء، عن عزّة بربش، وعن العصابة وأسمائها، وعن جرائم التوربيني وخطف الأطفال واغتصابهم وقتلهم، وحتى عن الأماكن التي يتردد عليها، وكانت تلك الاعترافات هو الخيط الذي قاد رجال المباحث بعدها للوصول إلى حل تلك القضية الصعبة.

ومن خلال المعلومات التي توصل لها رجال المباحث عن طريق بوقو، تمكّنوا بعدها من القبض على ثاني أفراد العصابة ويدعى محمد السويسي، حيث تم القبض عليه في طنطا، وحين تم التحقيق معه هو الآخر كشف عن باقي تفاصيل العصابة، وما كانوا يفعلونه مع الأطفال، حيث إنهم كانوا يستدرجون الأطفال بغرض العمل في التسول معهم، ثم يقومون بسحبه فوق القطار التوربيني، ويقومون بتكتيفه بملابسه الداخلية، ثم يقومون باغتصابه ومن ثم إلقائه من فوق سطح القطار أمام القطارات القادمة في الاتجاه المعاكس حتى تختفي معالمه تحت عجلات القطار إلى الأبد.

وكشف السويسي في اعترافاته عن التوربيني وأنه مصاب بعقدة جنسية جرّاء الاعتداء عليه جنسيًّا حينما كان في عمر الثانية عشرة من قبل معلّمه

الأول البلطجي عبده التوربيني، وأنه حين شُفي من الإصابة التي حلت به قرر الانتقام من كل الأطفال بنفس الطريقة التي تم الاعتداء عليه بها.

وكانت تلك الاعترافات كافية ليتم تجميع كل الخيوط اللازمة لاستكمال القضية وظهور معالمها، فهم أمام تكوين عصابي يترصّد الأطفال ويغتصبهم ثم يقوم بقتلهم.

بعدها قبضت أجهزة الأمن على فرد آخر من العصابة ويسمّى ب"بزازة" وهو الأقرب للتوربيني، ومن خلاله تم الإيقاع بالتوربيني "26 سنة" أخيرًا في محافظة الإسكندرية.

تم تحويل القضية برمتها لطنطا التي تولت التحقيق مع التوربيني وباقي أفراد العصابة، وحين تمت مواجهة بعضهم ببعض، اعترف التوربيني بكل جرائمه.

وكانت جرائمه كما أخبر بها التوربيني أكثر من 32 جريمة قتل واغتصاب على مدار سبع سنوات من ممارسة النشاط، كان التوربيني حسب اعترافاته يستمتع بهذا، قال نصًّا إنه كان يشعر بمتعة حين يقوم باغتصاب الطفل وقتله.

في خلال أربعة عشر يومًا تم القبض على باقي أفراد عصابة التوربيني كاملة، حمدي مناطق، ومؤمن الجزار الذي زعم في التحقيقات انه هو زعيم العصابة الحقيقي، وليس التوربيني، وما التوربيني إلا مساعد له.

توصلت النيابة من خلال التحقيقات إلى خمسة عشر اسمًا من الضحايا فقط، أما الباقي فلم يتذكر أفراد العصابة أسماءهم بالكامل.

جاء في الاعترافات أيضًا أسماء عدد من الفتيات ضحايا لعصابة قتل الأطفال ليكشف المزيد من المفاجآت حيث تبين أن التوربيني تزوج بفتاة تدعي عزة "بربش" عرفيًا كما ذكرنا سالفًا. وكانت تستقطب الفتيات لاستغلالهن في الدعارة. حيث قتل التوربيني ثلاثًا إحداهن في البحيرة والثانية في بني سويف والثالثة في عبود بالقاهرة، وكشف السويسي عن سر جديد عندما ذكر انه أجهض زوجة التوربيني رغم أنها كانت حاملًا وقدمها للرجال، ولذلك كان يرغب التوربيني في قتله عقب خروجه من السجن في إحدى القضايا.

تواصلت نيابة استئناف طنطا تحقيقاتها للعثور على **17** جثة اعترف المتهمون بقتلهم إلا أنه أصبح من الصعب العثور عليها لمرور فترة زمنية طويلة على وقوعها في المحافظات الثماني، ومنها القاهرة والقليوبية والغربية والبحيرة والإسكندرية وبني سويف ومطروح حيث كان يتم إلقاء الجثث فوق قضبان القطارات وفي البالوعات أو دفن الضحايا أحياء. كما طلبت النيابة القبض على أربعة من المتهمين الهاربين لاشتراكهم في عدد من هذه الجرائم. ووجهت النيابة للمتهمين الستة ثمانية اتهامات هي القتل. والاغتصاب. والسرقة. والخطف. وهتك العرض. والتسول. والتحريض على الفسق. وحيازة سلاح أبيض.

اثنتان وثلاثون جريمة قتل في حساب التوربيني، تربّع بعدها التوربيني على عرش القتلة المتسلسلين في عصرنا الحديث بهذا الرقم المهول، اثنتان وثلاثون ضحية للقتل والاغتصاب على مدار سبعة أعوام، فاجعة لو جاز لنا أن نصفها بهذا الوصف،

أحالت النيابة المتهمين إلى المحكمة، وأدانت المحكمة المتهمين بقتل اثنين وثلاثين طفلًا واغتصابهم في مدة تتراوح بين عامين 2004 و2007 فقط، وثبت بالأدلة القاطعة وبالاعتراف ما أدانتهم به المحكمة، وعليه تم الحكم بإعدام التوربيني ومساعده فرج سمير الشهير بحناطة، أما باقي أفراد العصابة فتم الحكم عليهم بالسجن المشدد لمدة تتراوح بين الأربعين والخمسة وأربعين عامًا، ولكن أودعوا في مصلحة الأحداث لحداثة سنهم، وتم تنفيذ حكم الإعدام في التوربيني يوم السادس عشر من ديسمبر لعام 2010م.

كما رأينا هنا، فالجريمة التي كنا بصددها في تلك الحادثة هي نتيجة اغتصاب جنسي أصاب طفلًا في صغر سنه، اغتصاب وتعدٍّ مهين قادته الظروف بعدها لعقدة نفسية جنسية شوهت معالم شخصيته، قادت عقله الباطن بعدها إلى الانتقام من المجتمع بنفس الطريقة التي تعرّض لها الطفل في صغره، كما كان لغياب الأهل عن الصورة موقف مؤثر في شخصية السفاح هنا، حيث إنه عانى وحده مرارة المواجهة لما تعرّض له من هتك عرض ومحاولة قتل في سنّه الصغيرة؛ فلم يجد من يحنو عليه وقتها، فتحوّل الطفل من معتدًى عليه إلى مجرم قاتل يفعل فقط ما آل عقله الباطن إليه، وظن أنه بهذا يسترجع حقه الذي أُهدر وقتها.

أيلين ورنوس





حينما يقوم أحد بذكر مصطلح "سفّاح متسلسل" يقفز إلى ذهنك لا إراديًّا صورة رجل مفتول العضلات وعلى وجهه بعض آثار الجروح القديمة البالية، ولكن من المستحيل أن تستنتج أنها امرأة شقراء ضعيفة البنيان، من ظاهرها أنها لا تقوى على قتل دجاجة بل أقل.

ولكن في الولايات المتحدة، الأمور دائمًا مختلفة، فواحدة من ضمن أكثر السفّاحين دموية وشر هي في الحقيقة امرأة.

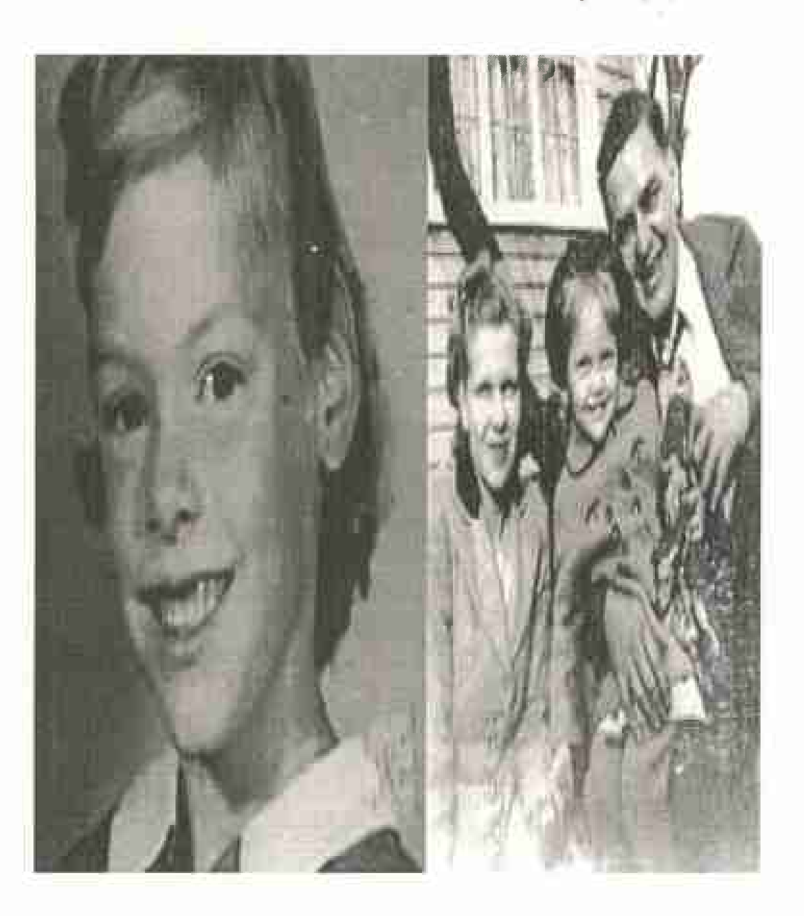
ما يزيد الأمر دهشة، أن تلك السفّاحة هي الوحيدة التي تم التعاطف مع قضيتها بشكل عام، بل إن حادثتها قد أحدثت صدًى واسعًا في أرجاء الولايات المتحدة كلها.

ليس فقط لأنها سفّاحة أنثى، ولا لوحشيتها المفرطة في القتل، ولا حتى لكونها ضحية عنف أسري، ولكن لخوف الأسر الأمريكية من تحوّل أطفالها مستقبلًا إلى ورنوس أخرى.

كان التساؤل الدائم الذي يواجه كل من يستمع إلى قصّتها لأوّل مرّة هو كيف لفتاة التحوّل من تلك الفتاة الواعدة الحالمة إلى تلك القاتلة التي لا رحمة في قلبها ولا شفاعة؟

سؤال خطر ببال كل المقرّبين تقريبًا، بل إنه قد جال ببال كل من تابعوا القضّية منذ انطلاقها في أواخر القرن البائد.

ولكن مع سرد أحداث تحوّلها من فتاة عادية إلى قاتلة يعرفون السبب تلقائيًا، ألا وهو الأسرة.



في عام 1956م تحديدًا في آخر يوم من شهر فبراير، والذي كان يصادف يومًا كبيسا كما هي عادة العام الكبيس، التاسع والعشرين من فبراير، وُلدت أيلين في تلك المدينة الهادئة "روشستر" التي تقبع في ولاية ميشيجان الأمريكية.

والدها "ديانا ورنوس" كانت مراهقة لا تتعدى الخامسة عشرة عامًا حين تزوجت بأبيها "ليو ديل بتمن"، وقبل ولادها بشهرين فقط انفصل والداها، ربما تسرعا في الزواج، ربما كانت علاقتهما مجرّد علاقة عابرة أخطآ في الاستمرار بها، وفي النهاية كانت ثمرة زواجهما هي أيلين وكيث أخاها الأكبر ابني العلاقة المحرّمة.

عندما أتمّت أيلين عامها الرابع، لم تجد أيلين تلك الكعكة التي تتزيّن بالشموع احتفالًا بقدومها إلى عالمنا المادي كما هو الحال مع باقي العائلات، لم يحتفي أحد بها، بل إن والدها رأت أنها ما زالت صغيرة على مثل تلك المسئولية التي أثقلت ظهرها الصغير، فقررت هجر ولديها بلا رجعة، تاركة مهمّة رعايتهما إلى والديها، الجد "لوري ورنوس" والجدّة "بريتا ورنوس" وقد قبلت الطفلة ذات الأربعة أعوام مثل تلك الظروف الجديدة، بلا أب أو أم، في منزل جديد تحل ضيفة ثقيلة على جديها اللذين لم يعترفا بتلك الزيجة منذ البداية.

ما لم يكن يتراءى لخلد تلك الطفلة المسكينة الصغيرة ما أسباب هجر والديها الحقيقية لها في ظل احتياجها للاهتمام والحب والاحتواء.

ما لم تكن تعرفه الصغيرة أن والدها كانت مشاغبة، هربت من منزلها لتتزوج والدها، والذي بدوره كان مريضًا نفسيًّا مصابًا بالتشيزوفرينيا، كان سيكوباتيًّا له شغف غير قليل باغتصاب وممارسة الجنس مع الأطفال أو ما يسمّى بالبيدوفيليا.

وقد كان متّهمًّا بممارسة أعمال غير أخلاقية مع الأطفال في الحي، وقد تم القبض عليه وسجنه فعلًا، وانتحر شنقًا داخل زنزانته في عام 1969م.

أما عن جديها فحدّث ولا حرج.

كانا يريان فيها ابنتهما المتمرّدة الشقية، يريان أنها لربما أخذت من والدها الشاذ والسيئ، وهو ما انعكس على المعاملة الطفلة بأسوأ أنواع الاضطهاد والحرمان.

كانا يضربانها ويحرمانها من أي أموال، كانت تتعرّض للاضطهاد يوميًّا إلى درجة وصلت أنها كانت تقتات الطعام ببيع جسدها لمن يرغب في علاقة عابرة وهي في الحادية عشرة من العمر فقط.

ثم إنها أدمنت المخدرات وهو الطريق الذي كان من المتوقع أن تتبعه في ظل كل هذه الإهانات والحرمان.

فكانت تقيم علاقات محرّمة من أجل الطعام والمخدّر، ثم أهملت مدرستها.

لم تسلم تلك الفتاة التي لم تجد من يحنو عليها أو يقوم بتقويمها من تحرّشات أخيها الكبير كيث، فقام هو الآخر بقيامه بعلاقة محرّمة مع أخته تارة بالغصب وتارة من أجل المال.

ازدادت الأمور سوءًا من قبل جدها، فقد كان ثملًا دائمًا، وكان يجبرها على خلع ملابسها أمامه، ثم يقوم بالتحرّش بها أو ضربها على جسدها الواهن، ثم تطوّر الأمر إلى أن أمسى علاقة جنسية كاملة مع جدها بالغصب، ثم في النهاية دعا جدها أصدقاءه للتسامر في منزله، فأباح لهم جسد حفيدته الوحيدة ليقوموا بتكبيلها والقيام باغتصابها معًا، لتصبح أيلين ذات الأربعة عشر ربيعًا حاملًا بلا أب في عام **1970**م.

أجبرها جدها على الولادة في المنزل ولادة غير شرعية، ثم إنها ولدت طفلًا فقامت بتركه في المنزل لراغبي التبنّي، ومن ثم تفاقمت المشكلات بينها وبين جدها وبين مدرستها التي كانت لا تكاد تحضر إليها فقط، وكانت تحضر فقط لإقامة العلاقات الجنسية من أجل الطعام، ثم ما إن مر عام فقط حتى تم طردها من المدرسة، ثم توفّيت جدتها فازدادت التحرشات والاغتصابات من جدها وكثرت المشكلات إلى أن طردها الجد لوري من المنزل إلى الأبد، لتعرف أيلين بعدها حياة الشارع الذي لا يرحم أحدًا مطلقًا.



لم تجد أيلين مفرًّا من الجوع والتشرّد إلا العمل بالجنس، وصارت تعمل كفتاة ليل تمارس الجنس من أجل المال، ولكن مشكلاتها ولا مبالاتها ازدادت مع الوقت، فكثرت مشكلاتها مع الشرطة.

ففي عام 1974م تم اعتقالها في ولاية كلورادو مدينة "جيفرسون" بتهمة القيادة تحت تأثير المخدرات والقيام بإطلاق النار على الشرطة من سيارتها.

ثم تم الإفراج عنها لتنتقل للعيش في ولاية فلوريدا والعمل بالجنس، وفي عام 1976م تعرّفت إلى عجوز كهل في أواخر السبعينات من العمر وهو "لويز جراتز فيل" والذي كان يمتلك ناديًا لليخوت، ثم ما لبثت أن تشاجرت معه بعد شهر من علاقتها به فقامت خلال المشاجرة بضربه بقوة

على رأسه بعصاة من الخشب ثم هربت إلى بلدها الأم "ميشيجان" هربًا من المسائلة القانونية، بالرغم من اعتقالها بتهمة الإزعاج.

في نفس العام، تُوفي أخوها كيث بسرطان الحنجرة، لترث من ورائه عشرة آلاف دولار وهو ثمن بوليصة التأمين على حياته، ومن تلك الأموال اشترت لنفسها سيارة جديدة، ثم انتقلت للعيش في فلوريدا مجددًا في مدينة دياتون بيتش وكان هذا في عام 1986م، ولكن بالرغم من كل شيء فلم تتغيّر أيلين إلى الأحسن، وظلّت تفتعل المشكلات ويتم اعتقالها بين الحين والآخر، تارة بسبب سطو مسلّح أو تزوير شيك إلى آخره.



في تلك السنوات تعرّفت أيلين إلى فتاة مثلية الجنس تُدعى تايرا مور وعاشت معها مدّة أربع سنوات كنّ أكثر سنوات حياتها استقرارًا وسلامًا حتى تم القبض عليها بتهمة السطو المسلّح على أحد البنوك، وتم اقتيادها إلى السجن لتقضي عامًا كاملًا بداخله قبل أن يكتشف المحققون أنها لم تكن مشتركة في الجريمة، وأنه قد تم الزجّ باسمها فقط، لتخرج أيلين شخصية مختلفة تمامًا، وتتحوّل مجريات حياتها من مجرّد فتاة ليل تقوم ببعض الشغب إلى أمر جديد تمامًا عليها.

بين عامي 1989م و1990م، كانت الشرطة تعثر على جثّة جديدة ملقاة على الطريق السريع في فلوريدا، أو بين الغابات في نفس الطريق، وتكرر الأمر أكثر من مرّة مما دعا لتدخل المحققين في الأمر وتحويل الجريمة من قتل إلى قتل متسلسل يستهدف الرجال.

كان الضحايا من الرجال مختلفين تمامًا لا توجد صلة بينهم لكشف القضية.



الضحية الأولى هو رجل يبلغ من العمر واحدًا وخمسين عامًا يُدعى ريتشارد مالوري، يمتلك متجرًا لبيع الأدوات الكهربائية والإلكترونية، كان قد أُبلغ عن اختفائه، ثم إنه قد تم العثور على سيارته على جانب الطريق السريع لفلوريدا خالية من أي أثر وذلك في الأول من ديسمبر لعام 1989م، ثم بعد ثلاثة عشر يومًا تم العثور على جثته في الغابة القريبة وقد جُرّد من ملابسه، وأُصيب بعدّة طلقات نارية، منها اثنتان اخترقتا رئتيه وتسببتا في قتله.

الضحية الثانية هو رجل يدعو "ديفيد سبيرز" يبلغ من العمر ثالثة وأربعين عامًا، كان يعمل متعاقدًا يقوم بزرع الحدائق وتجميلها، وقد تم اكتشاف جثّته بمحض المصادفة في الأول من مايو من عام 1990م، وقد كانت جثّته عارية تمامًا إلا من قبعة خاصة برياضة البيسبول، وقد كان ديفيد مصابا ب6 طلقات في الصدر والبطن من مسدس عيار 22 ملم.

الضحية الثالثة ويدعى تشارلز كارسدون، أربعون عامًا، وكان يعمل في مسابقات رعاة الابقار المحلّية، وقد تم العثور على جثّته في السادس من مايو من نفس عام 1990م، وقد أصيب بعدد 9 طلقات في الجزء الأسفل من البطن والصدر.

الضحية الرابعة هي لرجل يبلغ من العمر خمسين عامًا يُدعى تروي بوريس، كان يعمل بائعًا للسجق، وقد اختلفت الأمور هذه المرّة من حيث طريقة العثور على جثته، ففي تلك الحالة كان قد تم الإبلاغ عن فقدانه قبلها في محضر رسمي في آخر يوم من شهر يوليو لعام 1990م، وعليه قد

قامت قوات الشرطة بالبحث عنه لأيام في الطريق الذي تعوّد المرور منه، وبالفعل وجدوا جثته في الغابة القريبة في الرابع من أغسطس، أي بعد خمسة أيام كاملة من البحث، ولكنه كان قد بدأ في طور التحلل بشكل كبير، وقد اكتشفوا أنه مصاب بطلقتين فقط من الرصاص في الصدر.

الضحية الخامسة هي لرجل يدعى تشارلز ديك هامفريس، يبلغ من العمر ستة وخمسين عامًا، عقيد متقاعد في سلاح الطيران الأمريكي، تم العثور على جثته في الثاني عشر من سبتمبر في نفس الغابة مرتديًا ثيابه كاملة، ومصاب بست طلقات في رأسه وصدره.

الضحية السادسة هي لرجل يدعي والتر جينو انطونيو يبلغ من العمر اثنين وستين عامًا، وجدوه هو الآخر عاريًا وقد أُصيب بأربع طلقات نارية في الرأس.

التشابه بين الضحايا أنهم جميعهم من الرجال، ومتقاربون في الفئة العمرية، كما أنهم مصابون بنفس نوعية السلاح ألا وهو مسدس عيار **22** ملم. وهذا ما قاد جهات التحقيق أخيرًا للربط بين حوادث القتل وتم تغيير الوقائع وربطها بشخص بعينه، فلا بد أن الأمر قد قادهم في النهاية إلى الاعتراف بوجود قاتل متسلسل يقوم بالقتل، وحصد الأرواح في ذلك الطريق تحديدًا، وعليه قامت القوات بتكثيف البحث عن ذلك القاتل الذي يستدرج الرجال ويقتلهم في الغابة.

الضحية الأخيرة كانت هي الكاشفة عن ماهية القاتل، حيث إن مجريات التحقيق قد أخذت في التوسع أكثر فأكثر وقتها.

الضحية هي كهل يدعي بيتر سيمز، يبلغ من العمر خمسة وستين عامًا، كان قد تم الإبلاغ عن اختفائه حينما كان في طريق السفر من فلوريدا إلى نيوجيرسي بسيارته في شهر مايو من عام 1990م وقد اختفى، وأنه لا بد أن يمر بنفس الطريق الذي قتل فيه من قبله من الضحايا.

فقامت الشرطة على الفور بتكثيف الجهود للبحث عنه، فلم يتم العثور على جثته مطلقًا، لكن لحسن الحظ تم العثور على سيارته على الطريق في الرابع من يوليو في عام 1990م.

تم فحص السيارة ورفع البصمات واستجواب الشهود ممن يمرون على هذا الطريق أو من القاطنين حوله، هذه المرّة اتفق الشهود على شيء ألا هو أيلين ورنوس وتايرا مور، فقد رأى الشهود المشتبه لهما وهما تترلان من سيارة الضحية، وقد أجمعوا على هذا.

وحين تم فحص السيارة بعدها ورفع البصمات، تم العثور على بصمة يد على المقبض المجاور للسائق، فتمت مقارنتها مع بصمات أيلين ورنوس التي هي مسجّلة في سجلات الشرطة بالفعل فتم التطابق.

استمر التحقيق والبحث وتضييق الشبهات حول أيلين وتايرا، فتم العثور على بعض أغراض الضحايا مبيعة إلى متاجر شراء المستلزمات المستعملة، وكانت مبيعة بأكثر من اسم منها "لوري جودي" وهو اسم عمّة أيلين، وسوزان بلافك وكامي مارش، ثم بعد التتبع اكتشفوا أنها أسماء هويّات مزوّرة كانت تستخدمها أيلين للتنقل بين الولايات "كلورادو وميشيجان وفلوريدا"، كان تضارب الأسماء قد أحدث إرباكًا لدى جهات

التحقيق وتأخّر النتائج لوجود أكثر من اسم في التحقيقات، ولكن حينما تم فحص الأغراض المستعملة المبيعة ومسح البصمات من عليها، اكتشفوا أن البصمات كلها تعود إلى أيلين ورنوس نفسها، فاكتشفوا أن الهويات في النهاية كلها مزورة تعود إلى أيلين.

في الحقيقة أنه بالرغم من كل شيء فإن قوات الشرطة لم توجّعه قممة القتل إلى أيلين في البداية، بل إنهم بحثوا عنها بغرض كشف القاتل الحقيقي على أساس أنها شاركت في بيع الأغراض فقط بواسطة الهويات المزورة، وعلى هذا الأساس تم رصد المتّهمة بعد البحث عنها، ثم باغتوها وقبضوا عليها في أحد البارات حيث كانت تشرب الخمر فيه.



في البداية وجهوا لها تهمة التزوير فقط، ثم إن التهمة تحولت إلى القتل بعدما تم القبض على عشيقتها الشاذة "تايرا مور" والتي ما إن بدأ التحقيق معها حتى اعترفت على حبيبتها بكل شيء.

حتى إنها من الخوف فقد دلّتهم على مكان السلاح المستخدم في الجريمة ومخبئه، بل مخبأ باقي الأغراض المسروقة من باقي الضحايا من ملابس وهويات وأموال وخلافه، ولهذا اعتبرتها الشرطة شاهدة، وليست مشاركة في الجريمة.

وبدأ التحقيق مع أيلين ورنوس بتهمة قتل كل هؤلاء الضحايا.

كانت أيلين تنكر كل تلك التهم، وأصرّت على الإنكار بالرغم من كل الأدلة التي تدينها.

ولكنها مع الوقت ومع التحقيق المستمر ومواجهتها بالأدلة والبراهين، اعترفت فقط بقتل ريتشارد مالوري، ولكنها قالت إنها قتلته دفاعًا عن النفس فقط، لأنها كانت تصطحبه لتوصيلها فحاول اغتصابها فقتلته.

وعلى أساس هذا الاعتراف قامت قوات الشرطة بالبحث وراء كلامها، وبحثوا عن ملف ريتشارد في سجلات الشرطة.

الغريب أنه بالفعل كان قد اتُّهم من قبل أكثر من مرة بمحاولات الاغتصاب والتحرش الجنسي، وقد كان هذا كفيلًا بتبرئتها من كل التهم إن صحّت رواياتها، إلا أنه بالضغط عليها في التحقيقات ومع مرور الوقت، وبالبحث وراء حياة أيلين وأسباب تحولها إلى طريق الجنس

والدعارة وخلافه، وبعد ربط سجل الجرائم الذي يخصُّها، وبمواجهتها باعترافات عشيقتها، اعترفت في النهاية بقتل كل الضحايا المذكورين.

ولكنها أصرّت على السبب المذكور الا وهو محاولة اغتصابها، وقد اهمتهم جميعًا بمحاولة اغتصابها ومن ثم قتلتهم.

وتم تحويل القضية المذكورة إلى المحاكمة.



بدأت المحكمة الأمريكية في ولاية فلوريدا في عام 1991م في محاكمتها، وكانت محاكمة تشهد لها الولايات المتحدة كلها بأنها محاكمة غريبة، فقد تعاطف المشاهدين مع القاتلة نظرًا لأنها كانت ضحية مجتمع، خاصة بعدما قصّت ورنوس قصّة معاناتها الحقيقية مع جدها وجدتها وهجر أمها لها للعامة، على عكس جهات التحقيق التي أدانتها بقسوة.

في أثناء محاكمتها أصرت أيلين ورنوس على أنها بريئة، وأنها ضحية، وكانت تسب وتلعن الكل، توجة الشتائم البذيئة للكل، وكانت تصر على أنها تدافع عن نفسها ممن حاولوا اغتصابها، وخلال فترة محاكمتها الطويلة كانت أيلين تصر على أنها ضحية، وأن المساجين والحراس تحرشوا بها جنسيًّا وعاملوها معاملة حيوانية، وبصقوا على وجهها أكثر من مرة.

وبعد عدة جلسات واستماع للشهود أكثر من مرة وتوجيه الاتهام لها بصورة مستمرة، اعترفت أخيرًا أيلين ورنوس بقتل الأشخاص السبعة بغرض السرقة مع سبق الإصرار والترصد.

وطالبت المحكمة أن تحكم عليها بالإعدام.

حتى أنها رفضت في نهاية الأمر تعيين محامين لها ورفضت الانصياع إلى دفاعهم عنها لإصرارها على الحكم بالإعدام.

كانت دائمًا ما تسب وتلعن في القضاة وفي المجتمع، حتى أنها في آخر لقاء تلفزيوني معها كانت تضحك ضحكات مجنونة وتسب كل من يحاول الكلام معها وتوجيه أية تهم لها.


To me this world is noting but evil
بالنسبة لي فأن هذا العالم لا يعني شيئا سوى الشر

حكمت المحكمة عليها أخيرًا بالإعدام بالحقنة السامة، وذلك في عام 2002م، وصدق المدعون على الحكم، وتم تحديد ميعاد تنفيذ الحكم عليها، بعد اشتهار قضيتها في أنحاء العالم كونها أول سفّاحة أنثى في العصر الحديث.

كانت في الفترة ما بين الحكم بالإعدام وتنفيذه كثيرًا ما يتم استضافتها في اللقاءات التليفزيونية الشهيرة على غرار برنامج أوبرا وينفري الشهير، وكانت دائمًا ما تضحك وتبتسم بجنون وهي تحكي عن حياتها البائسة، حتى إن الجماهير قد تعاطفت معها ومع قضيتها نظرًا لحياتها القاسية التي عاشتها في طفولتها والمراهقة.

وفي أكتوبر عام 2002م دخل الحرّاس على زنزانة أيلين ورنوس، فقدموا لها وجبتها الأخيرة، وكانت عبارة عن كوب من القهوة مع وجبة كنتاكي، ثم بعدما فرغت من وجبتها، قادوها إلى غرفة الإعدام.

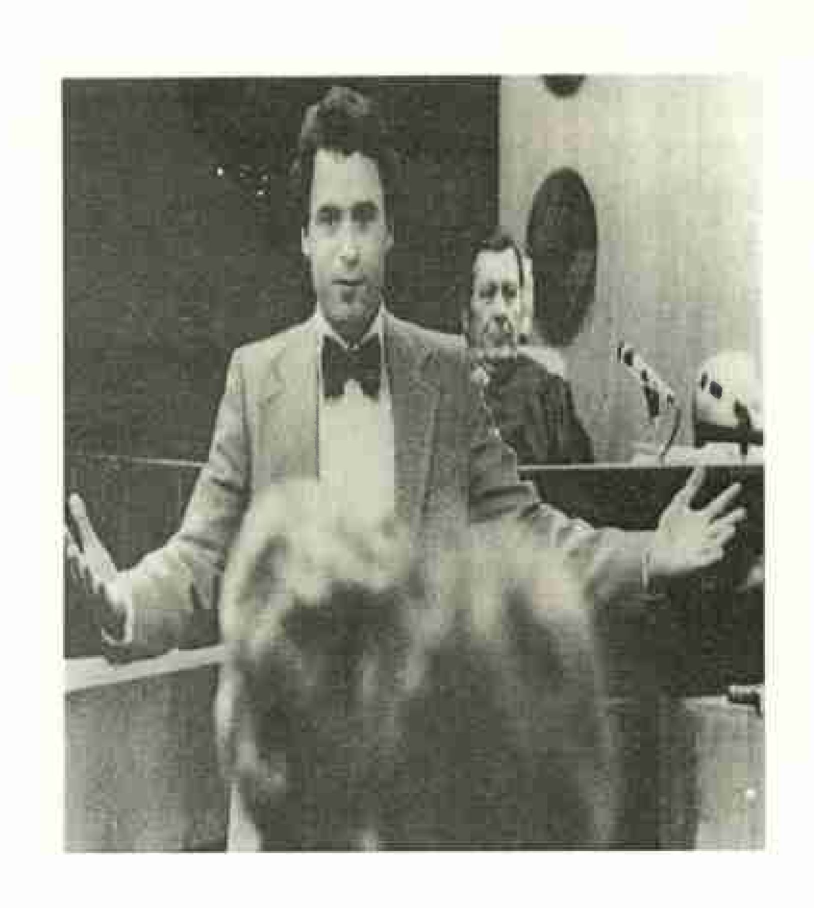
كانت هي هادئة جدًّا وتضحك في جنون، وكانت تقول: "فقط أريد أن أقول إني سأبحر مع الصخرة، ولكن حتما سأعود كيوم الاستقلال".

وتم تقييدها في الفراش المخصص للإعدام، ثم غرز حقنتي السم في وريديها، وسمحوا لأهل المجني عليهم بالمشاهدة، وكانت هي تنظر لهم وتخرج لسانها وتضحك كنوع من الاستهزاء الأخير، وفي النهاية توقف قلبها عن العمل، وذهبت.

في تلك القصة، نجد أن عامل الأهل كان هو السبب الرئيسي في انحراف السفّاحة أيلين ورنوس، وتحوّلها ببعض التحرشات الجنسية من فتاة مراهقة تستذكر دروسها، لمدمنة المخدرات وميسرة الدعارة ومن ثم الترصد والقتل المتسلسل، وهو عامل كبير يستطيع تحويل أكثر الأنواع مسالمة إلى وحوش قاتلة، خاصة حينما تأتي الضربة ممن وثقت بهم من أهلك يومًا ما.

***

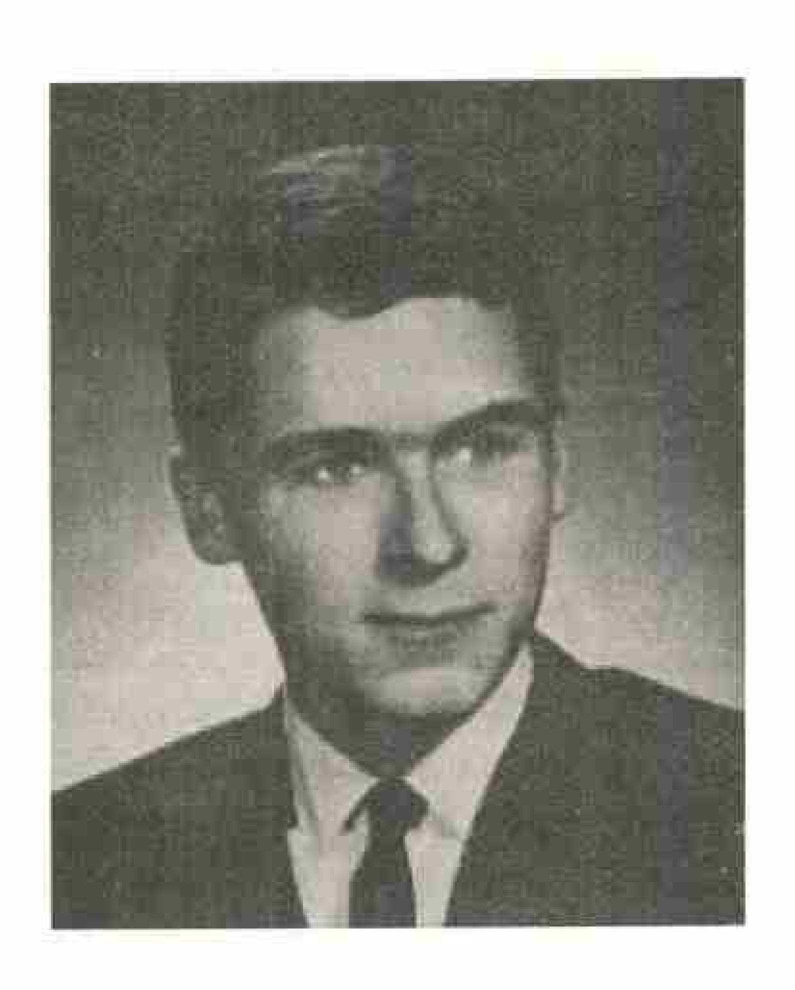
تيد باندي



ليس كل ما يلمع ذهبًا، هكذا قال شيكسبير في روايته الخالدة "تاجر البندقية" على لسان بطل الرواية، وقد صدق شيكسبير حين قال هذا، فحينما نسمع عن ذلك الوسيم الذي يقتل بلا هوادة ولا رحمة، فتكون القصة في عقولنا من درب الخيال، إلا أن هناك بعض الوسماء الذين يخفون قلوبًا قاسية سوداء بداخلهم، هؤلاء يكونون من الصعب كشفهم أو البحث وراء اتجاههم إلى مثل تلك الفعلات.

القاتل اليوم هو شاب وسيم جدًّا، لا تستطيع فتاة أن ترفض مقابلته أو عرضه لها.

ترتبط في الأذهان دائمًا صورة القاتل المتسلسل بالقبح، ربما لكون الجريمة نفسها هي جريمة قبيحة فلا بد ان ينعكس الشكل الخارجي على ما يضمره الشخص في داخله من شرٍّ وفساد، أو هكذا يظن الجميع، فيظنون أنه لا بد أن يكون القاتل أو المجرم قبيح الوجه يخرج الشرر من عينيه، ينظر نظرات حاسدة إلى الجميع فيهدد ويندد ويكوّر قبضته قاصدًا الأذى إلى الجميع، هي ذي تلك الصورة التي يرسمها العامة عن المجرم، ولكن ذلك الشاب الوسيم ذا الضحكة الدافئة والابتسامة التي تسحر بنات الجنس الآخر لا يتوقعون أبدًا أن يضمر شرًا بداخله، ولهذا سهل على تيد باندي خداع الجميع بابتسامته الدافئة وعينيه الحالمتين وشعره المنسدل على جبينه المفرود.



بدأ كل شيء في الرابع والعشرين من نوفمبر عام 1946م، حيث ولد ثيودور روبورت باندي في منزل إليزابيث في برلنجتون، فيرمونت لامرأة شابة تدعى ليانور لويز كويل، كان ثيودور أو تيد كما أحب أن يُنادي، عادة اختصار الأسماء في الولايات المتحدة هو ثمرة علاقة غير مشروعة بين فتاة شابة وأب مجهول الهوية، تارة كانت تقول عنه إنه مندوب بيع ومحارب قديم بالقوات الجوية واسمه لويد مارشال، وهذا ما قد تم تسجيله في شهادة الميلاد، وتارة ادعت أنه قد استدرجها أحد البحّارة لممارسة الجنس معها، وهو رجل يدعى جاك ورثينجتون.

تجنّبًا للعار الذي لاحق تلك الفتاة في مواجهة والديها العنيفين صموئيل واليانور كويل، ادعى الجدان أن ثيودور هو ابنهما هما، وليس ابنًا لابنتهما الشابة، أمام الجميع في فلادلفيا ادعيا أن ثيودور هو ابنهما هما، وأن لويز ليست أمه، هي أخته الكبيرة فقط، وذلك خوفًا من العار الذي قد يلاحقهما إذا ما عرف الجيران والأصدقاء أن ابنتهما قد رُزقت بطفل غير شرعي، وعلى هذا الأساس عاش ثيودور سنواته الأولى ظنّا منه أن جديه هما أبوته وأن أمّه هي أخته.

في عام 1951م تزوجت لويز برجل يدعى جوني باندي، وقد وافق على إعطاء اسمه إلى الطفل الصغير كرمًا منه في حماية الطفل وإعطاء صفة اسمية له، وبهذا عرف ثيودور باسم "تيد باندي".

على مدار أعوام عاشها ثيودور مع عائلته، كانت الكراهية تزداد بين جوني باندي وبينه والذي كان يظنّه زوج أخته البليد الكسول ضيق

الأفق، وفي المقابل كنَّ الاحترام إلى جده صامويل كويل الذي كان يظن أنه والده هو، وكان يرى فيه الأب القوي صعب المراس الذي يشتد عليه خوفًا على مستقبله هو أو هكذا ظن.

كان تيد متفوقًا في دراسته، مُجد في مدرسته يحبه الجميع، وقد تفوّق ثم التحق بجامعة واشنطن عام **1965**م ودرس اللغة الصينية لمدّة سنتين ولكنه أهمل دراسته للانجراف في العمل السياسي، فانضم إلى الحملة الرئاسية للمرشح الرئاسي نيلسون روكفيلر، في تلك الأثناء كانت حياته هادئة إلى حد ما، عائلة مستقرة، دراسة في جامعة مرموقة، وحب.

في تلك الفترة تعرّف تيد باندي إلى فتاة واحبّها، وكانت هي أيضًا تبادله الحب، حتى إذا ما ترك الدراسة وانشغل بالعمل السياسي، تركته صديقته التي أحبها كثيرًا عندما شعرت أنه قد أهمل دراسته وأن مستقبله الجامعي على المحك، تركته وسببت له صدمة ستأتي على ما تبقى من الخير في قلبه بعدها.

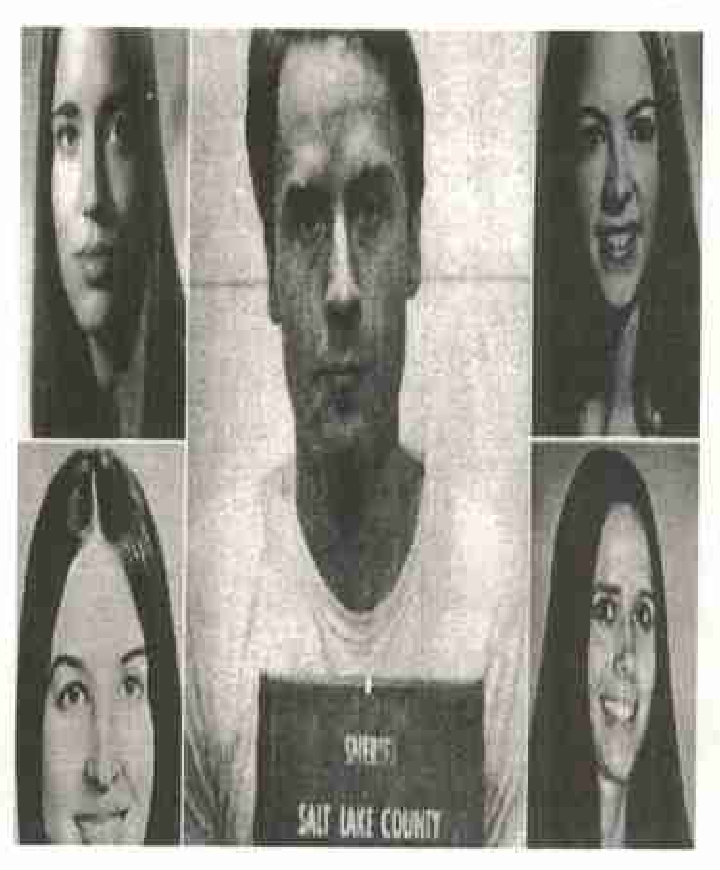


في تلك الفترة كانت ملامح التشوّه النفسي قد لاحت على وجه تيد باندي رويدًا رويدًا، لم تظهر بشكل مباشر إلا مع تعامله الودود أكثر من اللازم مع الجنس الآخر، لم يكن يظهر على ابتسامته الهادئة ولا نظراته الحالمة أنه يُكن شرًا مطلقًا تجاه الجنس الآخر.

في تلك الفترة، كان قد تداوى من صدمة صديقته التي تركته ليصطدم بمفاجأة أخرى، وهي أنه حين كان في منزله في فلاديلفيا كان ابن عمه هناك وكان يكن له كراهية شديدة، فقام بكشف حقيقة نسبه إلى أمه التي كانت أخته كل تلك الفترة، وهو ما سبب له صدمة أكبر حينما علم أنه ابن غير شرعي من أمٍّ ظن أنها أخته طوال حياته، والتبرير الذي كان يختلقه حينما يعنّفه والده قد اختفى وتحوّل إلى معناه الحقيقي، ألا وهو أن التعنيف ما هو إلا عقاب على جريمة شرف لم يرتكبها هو، بل إنها جريمة قامت بها أمه لا ذنب له فيها، وقد سببت له تلك الحادثة بحالة من الصدمة التي قادته إلى تغيير سلوكي خطير في شخصيته واتجاهه للعنف والانتقام لنفسه من الجنس الآخر عن طريق الجنس العنيف وما شابه، وهو ما أدى إلى فشل كل علاقاته مع النساء، فلم يكن يستمر أكثر من يومين إلى شهر كأقصى تقدير، فيمسي عنيفًا متقلّب المزاج يمارس الجنس بشكل مرضي وشاذ، وهو ما يؤدي إلى هجر كل من حاول البدء معهن في علاقة.

عاد تيد باندي إلى الدراسة من جديد، ولكنه كان قد قرر تغيير التخصص، فقام بهجر اللغة الصينية، وتعلم علم النفس، ثم بعد التخرج حاول الانجراف إلى العمل السياسي فتطوع في حملة المرشح الرئاسي

وقتذاك "دانيال ج.ايفانز"، وحينما نجح دانيال ايفانز في الانتخابات، كوفئ تيد باندي بأن نجح في القبول في كلية الحقوق في "أيوا" برغم فشله في امتحان الالتحاق الإجباري، وحاول تيد باندي أن يلتزم في دراسته، حيث إنه كان يطمح في أن يكون ذا شأن في العمل السياسي في مجلس الشيوخ.



في عام 1974م تحديدًا في الأول من شهر فبراير كانت فتاة تدعى "ليندا هيلي" اكتشفت زميلتها أنها اختفت في ظروف غامضة، حيث إن منبّه الغرفة ظل يرن بشكل غير اعتيادي، ثم إنها عندما ذهبت لزيارتها لم تجدها، وعندما مرّت أيام على اختفائها أبلغت الشرطة التي بدورها لم تجد لها أثرًا.

عندما جاءت الشرطة لفحص الغرفة لم يجدوا شيئًا في البداية، ولكنهم فوجئوا بوجود نقص في عدد أغطية السرير، ثم حين تمحّصوا في البحث وجدوا بعض قطرات الدماء الصغيرة، فأثارت تلك القطرات شكوكهم في كون اختفائها هي جريمة خطف.

وهذا ما قادهم في النهاية إلى استنتاج أنه لربما قام شخص ما بالتسلل إلى غرفتها، ومن ثم ضربها بآلة حادة على رأسها أفقدها الوعي ثم قام بلفّها في ملاءات سريرها ثم الهرب بها.

ولكنهم استبعدوا هذا الأمر إذ إن الوقت الذي تعود فيه ليندا من الحانة إلى غرفتها قليل جدًّا فهي من عادتها إعادة ضبط المنبّه حين تعود في الخامسة صباحًا، ولهذا ظلّت تلك القضية محل شكٍّ، وإن لم يتوصلوا إلى الجاني.

بعدها، توالت حالات الاختفاء لفتيات سكن الجامعة، ففي مارس من نفس العام اختفت فتاة تسمّى "دونا جي مانسون" ذات ال19 ربيعًا، وهي طالبة في جامعة إيفا جرين في مدينة ألومبيا والتي تبعد نحو 97 كم

عن سياتل، وكانت الفتاة قد غادرت السكن الجامعي من أجل حضور حفلة جاز في المركب الجامعي، واختفت بعد هذا.

بعدها، في السابع عشر من أبريل من نفس العام، اختفت فتاة أخرى تدعى سوزان رانكورت وهي تبلغ من العمر **18** عامًا، والتي ذهبت لمشاهدة فيلم في السينما في مدينة النسبورج على بعد **180** كم عن سياتل.

في شهر مايو لنفس العام، اختفت فتاة تدعى روبرتا باركس وهي تبلغ من العمر **22** عامًا، واختفت في مدينة كورفاليس، أما شهر يونيو فشهد حالتي اختفاء لفتاتين هما بريندا بال وجيوركان هاوكتر ـ وجميعهنّ كنّ من الفتيات الشابات جامعيات.

ازداد الزعر بعد ارتفاع عدد المختفيات من البنات بمعدل ضخم في الأيام التالية، خاصة ذعر المحققين الذين تأكدوا تمام التأكد بأنهم يواجهون خاطفًا ماهرًا أو ربما قاتلًا متسلسلًا يستدرج الفتيات ليقوم بقتلهن، حيث إن اختفاء عدد من الفتيات في أماكن قريبة أو محيط مدينة واحدة في أيام قليلة يجعل من حدوثها مصادفة مجرّد مزحة سخيفة، هو قاتل أو خاطف متسلسل ولا شك.

زاد عدد المحققين في اختفاء الفتيات، وقاموا بعمل استجواب للشهود الذين لربما رأوا شيئًا في الجوار، ولكم كانت المفاجأة أنه لأول مرة في شهر يوليو، يجزم بعض من الشهود على أنهم قد رأوا الفتاتين المختفيتين بريندا بال وجيوركان بصحبة شاب وسيم ذي شعر بني اللون على الشاطئ،

وأكدوا أنه كان يضع جبيرة على يده اليمنى، وكان يطلب من الفتاتين أن تساعداه على إنزال مركبه الشراعي الذي أتى به في سيارته الفولكس فاجن.

بل إن بعض الشهود قد أكّدوا أنهم قد سمعوه يتحدّث ويعرّف نفسه على أنه "تيد"، وأن لكنته غريبة قليلًا، تميل إلى الكندية أو البريطانية.

كما أكّد الشهود أن الفتاتين رفضتا في البداية لكون السيارة التي بحوزته لا تحوي مركباً شراعيًّا، وزعموا أنه قد أخبرهما أنها بعيدة قليلًا عن السيارة.

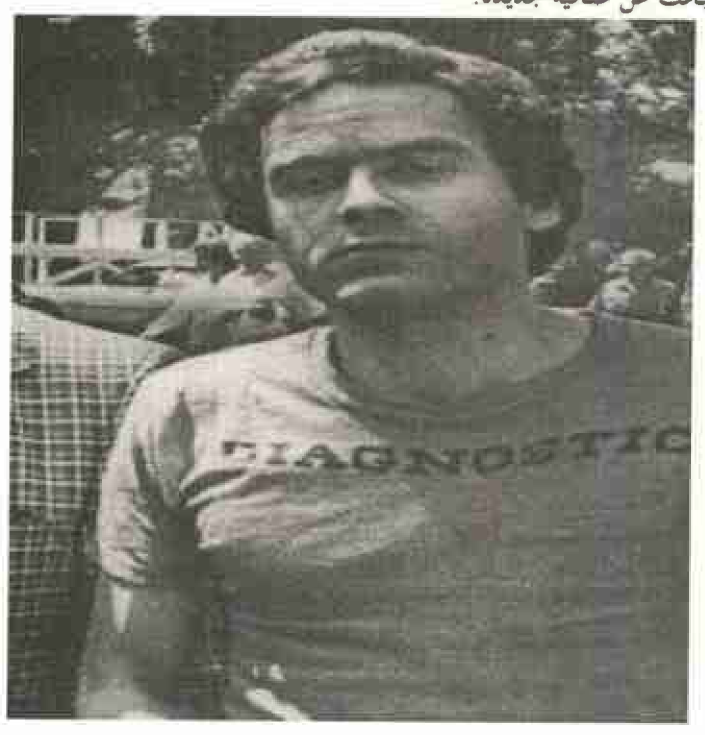
أفاد بعض الشهود الآخرين أن نفس الشخص كان يرافق فتاتين من المختفيات، وهن جانيس أوت ودنيس ناسلند، واللتين اختفتا في نفس اليوم الرابع عشر من يوليو لنفس العام.

أخذت الشرطة أوصاف المجرم الذي وصفه الشهود بجدية، وقاموا بعمل نشرة بأوصافه، وتم توزيعها على مخافر الشرطة، بل الصحف المحلية والتلفاز أيضًا.

حينما رأت صديقة باندي تلك الأوصاف ساورها الشك، فهي نفس أوصافه تمامًا، كما ساور الشك زميلة باندي في العمل آن رول، وقد اتفقتا على إبلاغ الشرطة بشكوكهن المزعومة، إلا أن الشرطة في ذلك اليوم لم تُلقِ بالًا على ذلك البلاغ نظرًا لكثرة البلاغات من المواطنين على رجال بأوصاف تشبه تلك التي أذاعوا عنها، كما أن تيد باندي كان طالبًا

بالحقوق وله باع في العمل السياسي، وذا سجل نظيف، فتغاضوا عنه وعن البلاغ.

انحصرت العلامات المشتركة بين الجرائم على بعض العلامات، وهي أن أعمار الفتيات متقاربة، كلهن يدرسن في الجامعة، كلهن نحيفات بيضاوات ذوات شعور فاتحة، وكلهن غير مرتبطات، واختفين في الليل. إذًا يبدوا أنها بالفعل جريمة من النوع القتل المتسلسل، وأن هناك سفّاحًا أو خاطفًا طليقًا يبحث عن ضحية جديدة.



بلغت حصيلة حوادث الخطف في سياتل الثماني، وكان رجال الشرطة ما زالوا يبحثون عن ذلك التيد الغريب الذي يخطف الفتيات، في تلك الآونة كان تيد يعمل في قسم الخدمات التابع لولاية واشنطن والذي كان من ضمن أعماله هو ملف خطف هواتي الفتيات بالتحديد واختفائهنّ، يا له من شيء محيّر.

وفجأة، بدون سابق إنذار، توقفت تلك الحالات لبرهة وكأن الخاطف قد قرر التوقف حينما شعر بالخطر.

كان الأمر ليمر مرور الكرام وتسجّل الحوادث ضد مجهول، إلا أن البحث والمصادفة قادا رجال البحث الجنائي إلى العثور على جثتي جانيس أوت ودينيس نلسند أو ما تبقى منهما، وذلك في شهر سبتمبر بعد ثلاثة أشهر من اختفائهما، كما تم العثور على بعض العظام مجهولة الهوية في موقع الحدث، وهو على بعد ميل واحد من متنزّه المدينة.

انتهت جرائم القتل في تلك المدينة، لتظهر بعدها بشهر فقط في مدينة أخرى، وهي سالت لايك بأوتا، فاختفت في أكتوبر نانسي ويلكوكس ذات الستة عشر عامًا، وبعدها انفتح السيل على حوادث اختفاء في ذلك المحيط طالت ابن رئيس شرطة ميدفيل بنفسه، وهي الفتاة التي تدعى مليسا سميث، جميع الفتيات اللاتي اختفين كنّ بين السابعة عشرة والسادسة عشرة من العمر، فبالرغم من أهمّية من تم اختطافها فإن رجال الشرطة وقفوا عاجزين على حل هذه القضية وقتها.

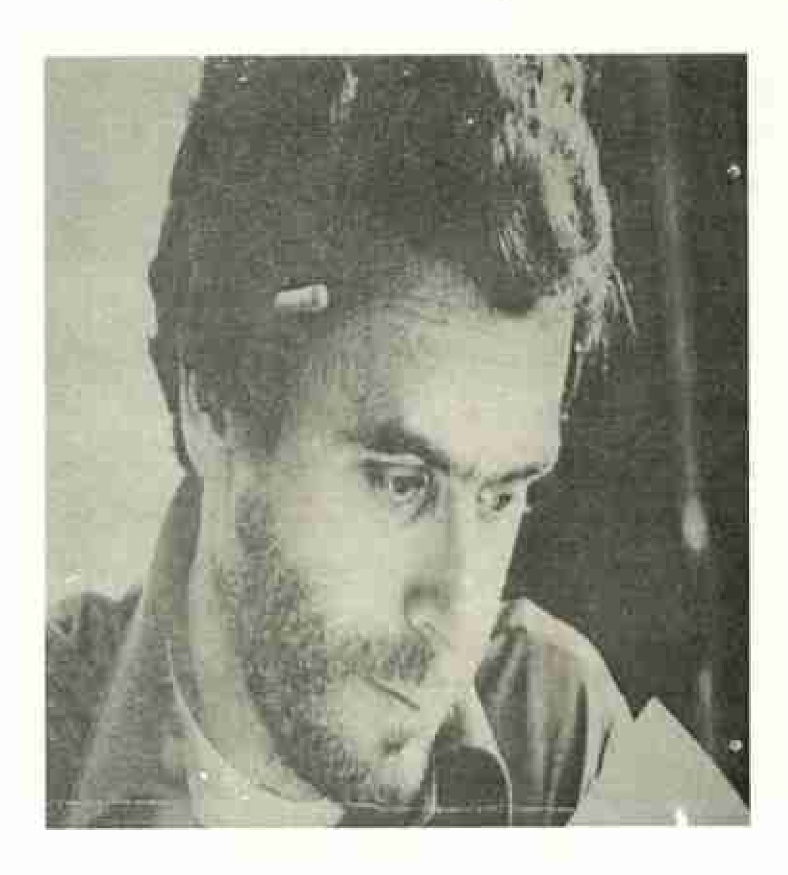
في الثامن من نوفمبر من نفس العام، ظهرت في الأجواء فتاة تدعى "كارول دارونش"، شهدت تلك الفتاة في أوتا أنها كانت تقود سيارتها في المدينة فأوقفها شرطي يُدعى روزلاند، وقد طلب منها مرافقته إلى قسم شرطة "مراي" للنظر في بعض البلاغات المقدّمة والتي تقول إن سيارتها التي تقودها قد تم محاولة سرقتها، أو هكذا ادعى، ثم إن ذلك الشرطي حين استفاضت معه في الكلام حاول اختطافها وتقييدها بقيود حديدية في سيارة الشرطة التي كانت بحوزته، ولكن لحسن حظها فقد أفلت يدها اليسرى مما ترك لها وقتًا للهروب.

أدلت كارول بمواصفات الشرطي الزائف وهي نفس المواصفات المعروفة للجاني، وراجعت الشرطة أسماء رجالها، ولم تجد بينهم "روزلاند" قط، فأسرعوا بتفتيش مسرح الجريمة وتطويقه، ولكن بلا جدوى، فقد اختفى مثلما ظهر.

دام البحث أيامًا، ولكن بلا فائدة تذكر، كل ما استطاع رجال الشرطة العثور عليه هو نقاط من دماء ذلك الشرطي المزعوم والتي استخلصها رجال التحقيق من فوق سترة كارول، والتي أخبرت أنها في محاولة الهرب قد جرحته جرحًا صغيرًا، ومن خلال تحليل نقاط الدماء المستخلصة لم يتوصل رجال البحث إلا إلى فصيلة دمه، وهذا يعني أن ثلاثين بالمائة من سكان الولايات المتحدة تحت دائرة الاشتباه.

في الثاني عشر من يناير من العام التالي، اختفت فتاة من ولاية كلورادو الأمريكية تُدعى كارين كامبيل، كانت تقضي عطلتها برفقة خطيبها

وطفليها في أسبن، وهي ممرضة في ال23 من عمرها، أبلغ خطيبها السلطات ولم يعثر عليها إلا بعد شهر من الحادث، ولكنها كانت جثّة هامدة مدفونة في متزلجات الولاية تحت الثلج، عثر عليها بعض المتزلجون مدفونة في الثلوج وعلى رأسها آثار تعذيب وضربة على الرأس، وقُيدت الحادثة بعد البحث ضد مجهول.



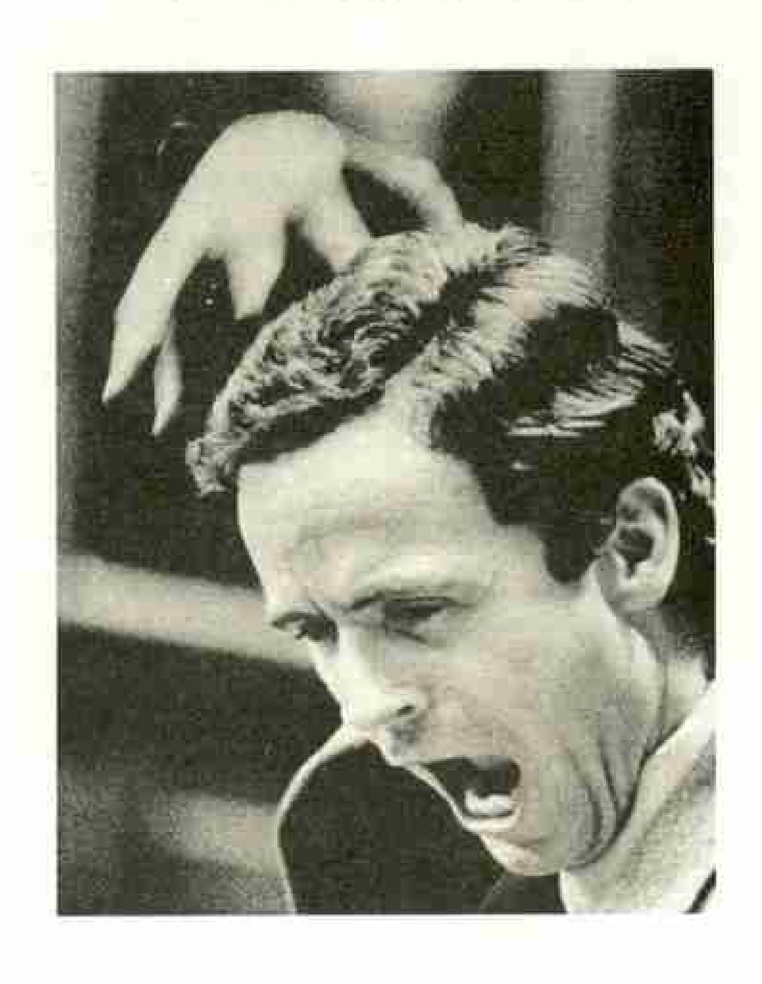
في السادس عشر من أغسطس من عام **1975**م، كان المجرم الوسيم يقود سيارته في كلورادو، فأوقفته الشرطة لتجاوزه السرعة المقررة من قبل سلطات الولاية، ولكنه لم يمتثل لأوامر الشرطة، وحاول الهرب مما اضطر الشرطيين لإيقافه عنوة، ثم أنزلاه وقيّداه بعد مشادة بينهم، ومن ثم قاموا بتفتيش سيارته.

ما وجدوه في سيارته كان مثيرًا لتساؤلات كثيرة، على سبيل المثال وجدوا في سيارته حبالًا، قناعًا، عتلة حديدية، أدوات تزلّج، وتذكرتين مستعملتين لدخول منحدرات التزلج في ذات المنتجع الذي وجدوا فيه جثة كامبل الممرضة.

حين ذلك، قام رجال الشرطة باقتياده إلى مركز الشرطة واعتقاله تمهيدًا للتحقيق معه، وفي نفس ذات الوقت قاموا بتفتيش منزله، وعثروا على أصفاد وشرائط لاصقة وحبال، ووجدوا زيًّا لشرطي، وهذا ما جعل رجل التحقيق جيري طومسون يربط بين هذه الملابس والأدوات وبين الجريمتين السابقتين، فتم التحقيق معه.

مما زاد من شكوك المحقق هو نوع السيارة التي تم تحريزها والتي تعود ملكيتها إلى تيد باندي وهي سيارة فولزفاجن بيتل، وهي تلك المبلّغ عنها في سياتل، إذًا نحن أمام مجرم من النوع "القاتل المتسلسل"، كانت كلها شكوك بلا أدلة اللهم إلا قضية اختطاف دارونش والتي تعرّفت عليه،

مع الوقت، واستيفاء الأدلة والبراهين استكملت قضية مقتل الممرضة كامبل واغتصابها، وبالفعل تم استكمال ملف القضايا جميعها، وتقديمها للمحكمة في إسبن بكلورادو في شهر يناير من عام **1977**م.

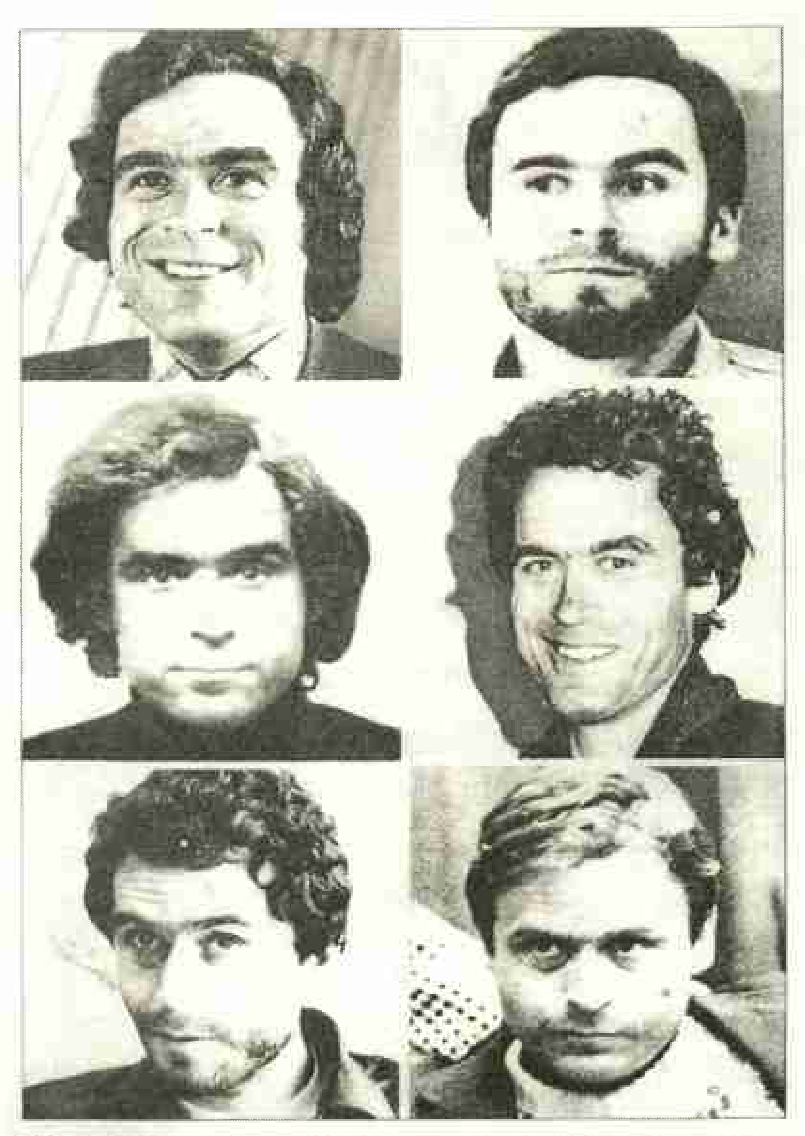


بدأت أولى جلسات المحاكمة ضد تيد باندي، رفض تيد وبشدة تعيين محامٍ له للدفاع عنه، وكان قد قرر أن يدافع هو عن نفسه، وقد استغل هو قانون الولاية الذي يسمح للمتهم أن يدافع عن نفسه إذا ما كان محاميًا، ووافقت المحكمة على مطلبه، وسمحت له بالولوج إلى مكتبة القصر العدلي بحجة التحضير لمرافعة الدفاع، ولكنه استغل وجوده في المكتبة في السابع من يونيو، وغافل الحارسين المكلّفين بحراسته، وهرب قفزًا من شرفة الطابق الثاني للمكتبة، ثم إنه في طريقه إلى مخبئه في الجبال سرق طعامًا ونقودًا وملابس وسلاحًا ناريًّا، ثم استقر في جبل قريب.

ولكنه في خلال أسبوع واحد فقط تم القبض عليه، وفشلت محاولة الهرب التي خطط له، واقتيد إلى زنزانته من جديد.

بعد ستّة أشهر من الحبس، في عام **1977** نجح المرة الثانية في الهرب، وذلك عن طريق عمل حفرة مربعة في سقف زنزانته بمنشار للمعادن، حيث تسلق عبر الحفرة وخرج من الباب الرئيسي للسجن مستغلًا غياب الحارس، وصل للرواق الرئيسي للسجن ليهرب مرة أخرى مستعملًا إحدى السيارات التي سرقها من موقف العربات، ثم ابتاع تذكرة طائرة إلى (دنفر) بولاية شيكاغو، ومنها ذهب بالقطار إلى (آن آربور) بميتشيجان، ليسرق سيارة إلى أتلانتا ويتركها لركوب الحافلة الذاهب إلى (تالهاسي) بـــ(فلوريدا).

ونجح أخيرًا في الهرب وتلك المرّة كان الهروب موفّقًا.

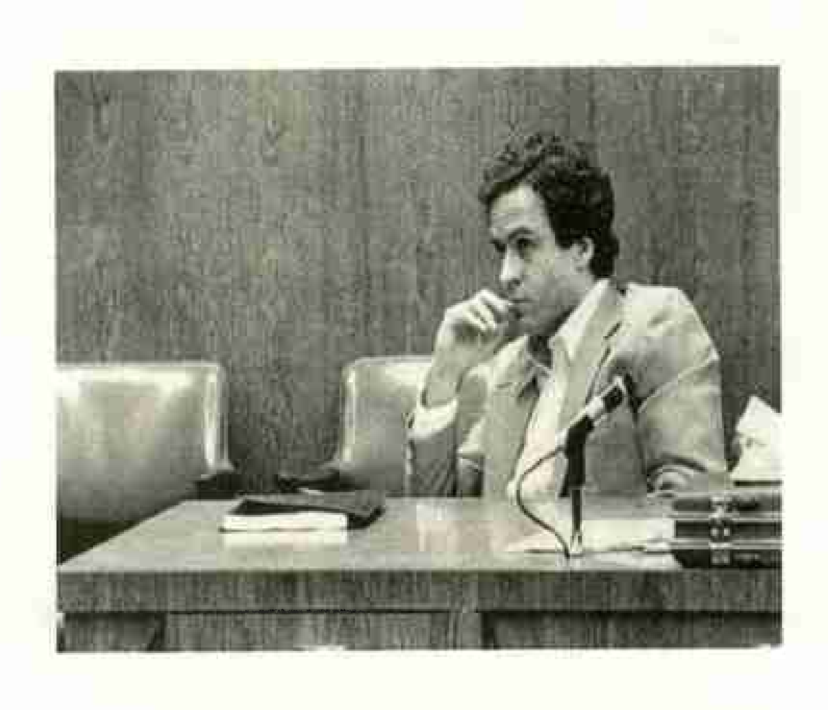


The many faces of a monster . . . this was how Ted Bundy altered his appearance over the years he evaded capture.

بعد أسبوع واحد فقط من هروبه، قرر تيد باندي أن يخرج كبته بأكبر قدر ممكن، فاقتحم تيد باندي أخوية تشي أوميجا في الرابع عشر من يناير من عام **1978**م، وهاجم فتاتين فقام بقتلهما بوحشية، ثم هاجم فتاتين أخريين، وتسبب لهم بإصابات عنيفة، ثم إنه ترك الأخوية واقتحم في طريقه شقة فتاة تدعى "شيرلي توماس" وقام باغتصابها ومهاجمتها بوحشية فتسبب لها في خمسة كسور بالجمجمة، وكسر بالفك وخلع بالكتف، بعدما استماتت الفتاة في المقاومة وأجبرته على ترك سائله المنوي وبعض شعيراته ونقاط دمه، ثم إنه هرب، ليقتل فتاة أخرى تدعى ليزا نيفي والتي قامت بمقاومته بشراسة لتخلّف له جرحًا عميقًا في جسده بعدما قامت بعضّه، لتنتهي ليلته الممتلئة بالأحداث بقتله لفتاة ذات ال**12** عامًا تدعى كمبرلي ليش ثم رمى جثتها عند نهر سواني.

في فلوريدا يوم **15** فبراير لعام **1978**م كان تيد يقود سيارة على الطريق، وفي نفس ظروف القبض عليه في المرّة الأولى، قبض عليه شرطي لعدم المثول له عند إيقافه، فقام باقتياده إلى مركز الشرطة غير عالم أنه قد ألقى القبض على أخطر سفاح في العصر الحديث، ليتم التحفّظ عليه وتحول محاكمته إلى محاكمة عالمية يتابعها الكل، فقد تحولت قضيته لقضية القرن بالمعنى الحرفي للكلمة.

وصارت محاكمته هي أول محاكمة يتم بثها على التليفزيون الوطني في أمريكا، وصارت صورته تنشر في كل الصحف والمجلات تحت اسم "القاتل الوسيم"، حتى إن المتابعين تناسوا أن ذلك الوجه قتل عشرات الفتيات واغتصبهنّ.



أصبح تيد باندي هو حديث الساعة، وأحد نجوم المجتمع، لابتسامته الساحرة وعينيه الحالمتين، صار له معجبات من كل أنحاء العالم، وتوسطت صورته كل الصحف والمجلات وبرامج التلفاز، طريقة حديثه المتحضّرة وصوته المريح جعلت منه نجمًا كنجوم هوليوود، خاصة وهو يحكي ظروف تربيته القاسية ونشأته، مما جعل كثيرًا من الفتيات يطالبن بتخفيف الحكم عليه.

اغتر باندي بنفسه لسطوع نجمه في الآونة الأخيرة، فكان يتعامل كنجم من النجوم، يرفض الدخول من الأبواب الخلفية، ويدافع عن نفسه وهو ما فعل في ثلاث محاكمات متتالية.

فشل تيد باندي في الدفاع عن نفسه في المحاكمات، ونال على قضايا القتل الأخيرة ثلاثة أحكام إعدام بالكرسي الكهربائي.

في تلك الفترة تحوّل تيد باندي إلى نجم الحوارات التليفزيونية، وكان يحكي عن تفاصيل جرائمه باستفاضة، تحدّث تيد مع ستيفن ميشو وهيوج انيسوورث عن ثلاثين جريمة قتل في مختلف الولايات، واعترف بالنيكروفيليا أو معاشرة الجثث وحبه فيها، وكيف كان يحتفظ بالجثث ويلبسها ملابس العاهرات، ويضع لها أدوات التجميل بنفسه ثم يقوم بمعاشرتها أيامًا حتى تتعفن الجثة، فيصير من المستحيل الاقتراب منها.

كان تيد يحكي وهو فخور وسعيد وغير نادم، يستفز عائلات ضحاياه بابتسامته الواثقة، واعترافاته بالقتل والاغتصاب، ووصف ما كان يفعله

بارتياح، وقد أثبت الطب النفسي أن تيد يعاني اضطرابًا في الشخصية ولكنه غير كاف لتبرئته.



حاول تيد استغلال القاعدة الجماهيرية التي بناها على أساس وسامته، واستغلال طرق إقناعه ومرافعاته في المحاكمات المتلفزة على مدار تسع سنوات كاملين في إعادة المحاكمة لتخفيف الأحكام، فقد كانت الفتيات مغرمات به، يمطرنه بتعبيرات الحب والرسائل والهدايا، ويترجين رضاءه عنهن ليقابلنه، وقد حاول استغلال هذا في المماطلة ليستطيع إطالة الوقت بقدر الإمكان ويحاول أن يخفف حكم الإعدام إلى المؤبد، ولكنه فشل.

في عام 1984م في ظل محاكماته، طلب تيد السماح له بالزواج بإحدى الفتيات، وتدعى كارول أن دوون، وقد سمح له بالزواج وأتمّه بالفعل، بل إنه قد أنجب منها فتاة.

وكان تيد متعاونًا جدًّا مع السلطات، إذ إنه قد ساعد الشرطة على الإيقاع بسفّاح متسلسل آخر يسمّى "سفّاح النهر الأخضر" بإعطائهم معلومات من داخل سجنه.

كان يماطل المحاكمات عن طريق المساومات مع الشرطة، حيث إنه عقد الاتفاقات مع السلطات في كل مرة قبل النطق بالحكم عن كشف ضحية جديدة من ضحاياه، حتى وصل عدد ضحاياه اللاتي اعترف بقتلهن إلى 36 فتاة، إلا أن مستشاره القانوني قد اعترف أن العدد تجاوز المائة، وأن هناك من بين ضحاياه رجلًا.

في النهاية، ثبت الحكم بالإعدام بالكرسي الكهربائي، وتقرر إعدامه في عام 1989م بعد تسع سنوات كاملة من القبض عليه ومحاكمته، بين مظاهرات من المطالبين بتنفيذ الحكم ضد الوحش الوسيم تيد باندي، حتى إنه وصل الأمر إلى التجمهر أمام المحكمة أكثر من مرّة للتعجيل بالحكم، وبالفعل، تم تنفيذ الحكم ضده أخيرًا، ثم أُحرقت جثّته بناءً على رغبته وتم نثر رمادها في عدة أماكن من التي قتل فيها ضحاياه.

يذكر أن تيد باندي له كتب بقلمه عن قصته من الحياة القاسية إلى الجريمة، أكثر من عشرين كتابا بعضها بقلمه والأخرى بقلم المقربين له.

هنا رأينا أن الشكل الخارجي قد يُخفي نيات شريرة وتشوّهًا نفسيًّا لا أحد يدري به إلا ضحاياه من الفتيات، ابتسامة هادئة تعمل كالقناع يخفي وراءه الكثير من العنف والدماء والقتل، كما رأينا تأثير الأسرة والاستقرار العاطفي على مشاعر الشخص التي قد تتحول بين فينة وأخرى إلى مشاعر

انتقامية تخرج على هيئة أداة تقتل كل من ترجم له عقله انه سبب في تحوله هذا، هنا قام تيد بالانتقام من الإناث كلهنَّ، النوع كله والذي رأى أنه كان سببًا في تدهور حاله، وقد أجاد إخفاء ما فعل وراء وسامته بجدارة، ولولا أنه قد تم الإيقاع به عن طريق المصادفة لما تم كشفه مطلقًا، فليس كل ما يلمع ذهبًا.

***

المصادر

1 – سيكولوجية القتل: د. راشد علي السعدي.

-2The Devil In The White City إيريك لارسون

3 – الصحيفة المغربية "مغرس" و"حقائق".

4– موقع المجرام.

5– كتاب سفّاح كرموز، دكتور أحمد صادق.

6– أرشيف الشرطة.

7 - Dash، Mike (2005). Thug: The True Story of India's Murderous Cult. London: Granta pp.283-9

8 - The Top Ten of Everything 1996 (Page 65). ISBN 0-7894-0196-7

9- Rubinstein، William D. (2004) Genocide: A History. Pearson Education Limited. p.83

10 - Paton، James. Collections on Thuggee and Dacoitee. British Library Add.Mss. 41300 fol. 118، 202–03

-11 Encyclopedia International، by Grolier Incorporated Copyright in Canada 1974. AE5.E447 1974 031 73-11206 ISBN 0-7172-0705-6 page 95

12 - William Sleeman. Rambles and Recollections of an Indian Official.

13- هاف بوست المغربية.

14- جرائم متحف الشرطة، القلعة.

^ "Three 19‑year-old youths committed 19 murders in Dnepropetrovsk during a month". UNIAN.

"Dnepropetrovsk maniacs did not Show Regret". Novomoskovsk City News (باللغة الروسية).

"Dnepropetrovsk maniacs that operated in Dneprodzerzhinsk are already in Court". Dneprodzerzhinsk News (باللغة الروسية).

^ "Dnepropetrovsk maniacs: Court delivers its verdicts" (باللغة الروسية).

^ "Dnepropetrovsk maniacs: Verdict read out (with television news video)" (باللغة الروسية).

^ "Dnepropetrovsk maniacs: Sentence tomorrow" (باللغة الروسية).

^ "Viktor Sayenko and Igor Suprunyuk Murder 19 in a Month". Gazeta (باللغة الروسية).

"Dnepropetrovsk maniacs: Details and victims' names". Zavtra (باللغة الروسية).

"Bloody Trail – 3". Versii (باللغة الروسية).

"How the Dnepropetrovsk Rippers were Caught". GlavRed (باللغة الروسية).

"Dnepropetrovsk maniacs Begin to Blame Each Other". MyCityUA (باللغة الروسية).

^ "Sergei Cheated Death Twice – First a Car Accident, Then Cancer". www.facts.kiev.ua (باللغة الروسية).

"Lowlifes Planned 40 Murders" (باللغة الروسية). NEWSru.

^ "Survived Victim Afraid the Murderers will not Go to Jail". Segodnya (باللغة الروسية).

^ "Before murdering people maniacs practiced on cats". GlavRed (باللغة الروسية).

^ "Victims of the Dnepropetrovsk maniacs". Shcandal (باللغة الروسية).

^ "Theory: 19 Murders were Ordered by Web Masters". DP.ua (باللغة الروسية).

^ "Teenagers had Fun Murdering 19" (باللغة الروسية). NEWSru.

اليوم السابع والمصري اليوم وعكاظ: التوربيني.



الفهرس

